مجلة شهرية

نور المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

يسوع المسيح الغالب

Issue No: 30 :عدد
February 2010 شبــاط

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

معلمو المسكونة: باسيليوس الكبير وغرغوريوس اللاهوتي ويوحنا الذهبي الفم

إنذارات الله

سفينة تايتانيك حين غرقها وسط المحيط، قال الربّ يسوع : يأتي اللصّ في ساعة لا تعلمونها

إصطدمت السفينة (تايتنيك) بجبل ثلجي في قلب المحيط ، وغرقت بكل من عليها. لقد غرقت هذه السفينة بعد خمسة عشرة ساعة كاملة من إنذارات اللاسلكي ، التي كانت تحذّر البحّارة من الخطر المنتظر. ولكن الجميع كانوا يلعبون ويرقصون في نفس الوقت الذي تدور فيه ماكينات السفينة بأقصى سرعتها ، متّجهة نحو الجبل الثلجي الجاثم في قلب المحيط. وهذا هو حال الكثيرون منا ، فهم لاهون يلعبون ويرقصون في الوقت الذي فيه تندفع سفينة حياتهم إلى الإصتدام بالموت والقبر . إنّ إنذارات اللّه لنا في كل يوم كثيرة يحذّرنا فيها من المصير المخيف الذي ينتظرنا إذا لم ننتبه. فهو ينذرنا عن طريق الأحداث التي تدور حولنا أو عن طريق عظة نسمعها ، أو عن طريق كتاب نقرأه . فهو يحذّرنا بأنواع وطُرُق كثيرة لكي ننتبه ونبتعد عن الخطر.

ولكنّ الكثير من النّاس منشغلون بملاذ الدنيا الباطلة ، ولا يلتفتون إلى هذه الإنذارات حتى تصطدم سفينة حياتهم بجبل الموت وثلوجة القبر. إنّ سفينة حياة الإنسان إذا خَلَت من الربّ يسوع ليمسك دفّتها ويقود مسيرتها . هي بالتأكيد مصيرها للضياع ، فهي في الموت تسعى وإلى الموت الأبدي تسير

حياتنا الحاضرة ليست سوى إعداد للحياة في السماء .

عليكَ نفسك فتّش عن معايبها

وخـلِّ عثـرات النّـاس للنّـاس

محتويات العدد

2 إنذارات الله.

3 كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث

5 طريق النساك

6 تفسير القدّاس الإلهي

8 عقيدة الخلاص

11 ما أعظم أعمالك يا رب

12 المحارب العجوز

15 حوار مع ذئب

16 غفران الله للخطأة

20 والبعض سقط على ... عضو الكنيسة ...

21 العهد القديم . (١٤)

22 السرّ الروحي ...

23 القديس يعقوب المجاهد

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي (الحي الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة

حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كلمة صاحب الغبطة
بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

" فتّشوا الكتب كما قال المسيح إلهنا في الأناجيل. فإنّنا فيها نجدهُ مولوداً ومُدرَجاً في الأقمطة. ورضيعاً يغتذي باللبن. وطفلاً قد خُتن وحملهُ سمعان على ذراعَيْه. وظهر للعالمَ لا بالوهم ولا بالخيال بل بالحقيقة. فلنهتفنَّ قائلين: أيها الإله الذي قبل الأزل المجد لك ".(الذكصا – صلاة الغروب ، ٢ شباط)

أيها الأخوة الأحباء بالمسيح يسوع

إنّ كنيستنا المقدسة ، تهيّئنا لنستقبل في قلوبنا قيامة المسيح التي هي بالفعل قيامتنا نحنُ البشر

إنّ بدء الصيام الكبير المقدّس ، يتزامن في هذه السنة المباركة ، مع عيد دخول السيّد المسيح إلى الهيكل. أو ما يسمّى عيد إحتضان الصدّيق سمعان الشيخ بيديه للطفل يسوع.

هذا الحَدَث يؤكّد حقيقة إيماننا في سرّ التدبير الإلهيّ ، الذي ظَهَرَ أولاً في مغارة بيت لحم مولوداً من العذراء مريم الكليّة القداسة ، كما يذكر مرنّم كنيستنا: "لبادرنّ إلى والدة الإله. يا أيها الراغبون في معاينة ابنها يُقدَّم إلى سمعان. الإبن الذي أبصرهُ الملائكة من السماء انذهلوا ".

إنَّا ننظر أموراً عجيبةً غريبة لا تُدرَك ولا يُعبَّر عنها. فإنَّ خالق آدم يُحمَل كطفل . والغير الموسوع في مكان يوسع على ذراعَي الشيخ. والمستقرّ في حضن الآب غير متحيّز يتحيَّز طوعاً بالجسد لا باللاهوت. وذلك لتفرُّده بمحبَّة البشر .

إنّ الآباء القدّيسون الذين أدركوا مكنونات الكتاب المقدّس بإلهام الروح القدس. أرشدونا كما قال الربّ يسوع المسيح في الأناجيل الشريفة: فإنّنا فيها نجدهُ مولوداً ومُدرَجاً في الأقمطة. ورضيعاً يغتذي باللبن. وطفلاً قد خُتن وحملهُ سمعان على ذراعَيْه. **وظهر للعالمَ لا بالوهم ولا بالخيال بل بالحقيقة.**

فعلاً إنّ السيّد المسيح هو رأس الكنيسة وهو مخلّص الجسد. كما يذكر ذلك القدّيس بولس في رسائله: «وأخضَعَ كلَّ شيء تحتَ قدميه وإيّاه جعل رأساً فوقَ كلّ شيء للكنيسة التي هي جسدهُ ملء الذي يملأ الكل في الكل» (أفسس١:٢٢-٢٣). وأيضاً: «لأنّ الرجل هو رأس المرأة كما أنّ المسيح أيضاً رأس الكنيسة. ومخلّص الجسد». (أفسس ٥:٢٣).

دعوتنا الآن وفي هذه الأيّام المباركة. أن نستقبل وأنّ نبصر المسيح في أعماق أفكارنا وخلجات قلوبنا، كما أبصره سمعان لنستطيع أن نردّد بإيمان عظيم: والآن تُطلق عبدك أيها السيّد حسب قولك بسلاَم ، فإنّ عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته أمام كلّ الشعوب نوراً لإستعلان الأمم ومجداً لشعبك إسرائيل.

إنّ سمعان الشيخ عايَنَ المسيح ليسَ بإلهام الروح القدس فقط لكن كونه إنساناً باراً ضليعاً على خفيّات الكتاب المقدّس، وهو أحد المترجمين له من اللغة العبريّة إلى اليونانيّة (الترجمة السبعينيّة) ، حافظاً له ، ومتمّماً لتعاليم الناموس ، حافظاً للوصايا ، يَحيى حياة التوبة والقداسة ، من خلال الصوم والصلاة . وهذ ما يوضحه لنا البشير لوقا: «وكان رجلٌ في أورشليم اسمه سمعان وهذا الرجل كان باراً تقيّاً ينتظر تعزية إسرائيل والروح القدس كان عليه، وكان قد أوحي إليه بالروح القدس أنّه لا يرى الموت قبلَ أن يرى مسيح الربّ» (لو٢:٢٥-٢٧).

هذا يُظهر بوضوح أن الإيمان بدون أعمال ميّت «هكذا الإيمان أيضاً إن لم يكُن له أعمالُ ميتٌ في ذاته» (يعقوب ٢:١٧).

ما هو الإيمان :

الإيمان هو ما تؤمن به كنيستنا الجامعة المقدّسة الرسوليّة ، والذي يتلخّص في دستور الإيمان النيقاوي أومن بإله واحد ... هذا الدستور يُظهر عقيدة الإيمان بالحقّ والحقيقة المسلّم إلينا من السيّد المسيح ، بواسطة الإنجيليين ، والرسل الأطهار ، والآباء القديسين.

ما هي الأعمال المقرونة بالإيمان:

هي أعمال البرّ ، حسبما يقول يوحنا الإنجيليّ في رسالته

«أيها الأولاد لا يُضلّكم أحد. من يفعل البرّ فهو بارّ كما أنّ ذاكَ بارٌّ». (رسالة يوحنا الثالثة ٣:٧).

فأعمال البرّ هي: العدل والرحمة ، التواضع المسامحة ، قمع الشهوات الجسديّة ، وإخضاع الجسد للروح، الصلاة المستمرة (صلّوا في كل حين)، المحبّة وهي تاج الفضائل أن تحبّ الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ، وتحب قريبك كنفسك.

ومن الجدير بالذكر أنّ من أشخاص العهد القديم الذين انتظروا قدوم السيّد المسيح إلى الهيكل هي حنّة النبيّة من سبط أشير « وكانت نبيّة حنّة بنت فنوئيل من سبط أشير. وهي متقدّمة في أيام كثيرة. قد عاشت مع زوج سبعَ سنين بعد بكوريّتها . وهي أرملة نحو أربع وثمانين سنَة لا تفارق الهيكل عابدةً بأصوامٍ وطلباتٍ ليلاً ونهاراً». (لو٢:٣٦-٣٨).

هذه صورة حقيقيّة لحياة الإنسان المؤمن فإنّه يلتزم وبمحبّة بالتعاليم والوصايا الإلهيّة المقرونة **بالصلاة والصوم**. والقديس بولس الرسول يشدّد على هذه الفرائض فيقول: «وبينما هم **يَخدمونَ الربَّ ويصومون** قال الروح القدس أفرزوا لي بارنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه» (أعمال ١٣:٢) وأيضاً «وانتخبنا لهم قسوساً في كلّ كنيسة ثمّ **صليّا بأصوام**، استودعاهم للرب الذي كانوا قد آمنوا به» (أعمال ١٤:٢٣).

وأيضاً يشدّد القديس بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس على أعمال الفضيلة والإماتة والجهاد الروحي المنقطع النظير فيقول: « بل في كل شيء نُظهر أنفسنا كخدّام للّه في صبر كثير في شدائد في ضرورات في ضيقات في ضربات في سجون في اضطرابات في أتعاب في أسهار في أصوام في طهارة في علم في أناة في لطف في الروح القدس في محبّة بلا رياء »(كورنثوس الثانية ٦:٤-٥).

الإيمان حسبما ترويه لنا الأناجيل المقدّسة : هو الإيمان بالمسيح وبالمعموديّة المقدّسة حيثُ نستلم فيه موهبة وختم الروح القدس، لإنارة عقولنا. من هنا فالصوم الكبير المقدّس هو منهج ومَسلك السيّد المسيح الذي به أرشدنا إلى الطريق لمحاربة الشيطان ، والإنتصار عليه (هذا الجنس من الشياطين لا يخرج إلاّ بالصلاة والصوم). فبعد معموديته في نهر الأردن ، يقول لنا البشير متى «ثُمَّ أُصعدَ يسوع إلى البريّة ليُجَرّب من إبليس. فبعد ما صام أربعين نَهاراً وأربعين ليلة جاعَ أخيراً فتقدّم إليه المُجرّب وقال له ...» (متى ٤:١-٢).

ما هي فوائد الصوم:

إنّ إتباع النظام الغذائي لتخفيف الوزن (الريجيم) حسبما يقوله لنا الطب ، هو شيء ضروري لضبط حركات ووظائف الجسم فإنّه يعود عليها بالفائدة إذا إتُّبع بتمييز ودراية وإرشاد ومعرفة.

تماماً هذا ما يقوم به الصوم لضبط وكبح ولجم أهواء الجسد عن طريق إخضاعها وترويضها لتسلك في طريقها الصحيح الذي يعود على الإنسان روحاً وجسداً بالفرح الروحي نتيجة التوبة وأعمال الفضيلة.

فالسيّد المسيح ومن خلال آلامه الطوعيّة وهو في بستان جُسيماني يقول لتلاميذه الأطهار « إسهروا وَصَلّوا لئلا تَدخلوا في تجربة ، أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف» (متى ٢٦:٤١).

وبكلام آخر الصوم لوحده لا يفيد شيئاً ، فيجب أن يكون الصوم مقروناً بالصلاة وبأعمال البرّ.

الصوم يجب أن يكون في الخفاء. «ومتى صُمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين. فإنّهم يُغيّرون وجوههم لكي يظهروا للنّاس صائمين. الحقّ أقول لكم إنّهم قد استوفوا أجرهم. وأما أنتَ فمتى صُمتَ فادهن رأسك واغسل وجهك. لكي لا تظهر للنّاس صائماً بل لأبيك الذي في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانيّة». (متى ٦:١٦-١٨).

الصوم يجب أن يشمل خلوة روحيّة ولو قصيرة ، لتدريب النفس ، ففيه تناجي اللّه بحرارة وإيمان، وتعطي المسيح بعض الوقت. لتحصل على الهدوء ، ومن ثمّ سلام المسيح.

الصوم الكبير ، يحتاج لجهاد كبير، وهو الفرصة المميّزة التي يجب أن تعيش فيها بالقراءات الروحيّة مثل قراءة الكتاب المقدّس ، والتعاليم الآبائيّة. (تضلّون لأنكم لا تعرفون الكتب ولا قوّة اللّه).

سقَطَ آدم بالأكل ، أتى المسيح بالصوم
سقَط آدم بالكبرياء ، أتى المسيح بالتواضع
سقطَ آدم بالخطيئة ، أتى المسيح بالتوبة (إعتمد من يوحنا)
سقط آدم بإغواء الحيّة ، أتى المسيح ليسحق رأسها
أراد آدم ليَحيى بدون اللّه ، أتى المسيح ليعطيه الحياة الأبديّة
بسقطة آدم طُردنا من الفردوس ، أتى المسيح ليُعيدنا إليه
وقف الكاروب بسيف لهيبي ليحمي الفردوس ، أتى المسيح ليدخل اللص إليه أولاً.

نتمنى لكم صياماً روحياً لنعاين فيه قيامة المسيح بفرحٍ كبير

وكل عام وانتم بألف خير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

طريق النساك الطاعة

القديس يوحنا السلمي (الدرجي)

الطاعة هي وسيلة أخرى لا غنى عنها في الكفاح ضد مشيئتنا الأنانية. يقول القديس يوحنا الدرجي إنك بواسطة الطاعة تقطع أعضائك الطبيعية (أهواءك)، حتى تستطيع أن تخدم أفضل بأعضائك الروحية. وأيضًا فإنّ الطاعة هي القبر الذي تدفن فيه مشيئتك الخاصة، والذي منه يقوم الاتضاع (من الطاعة) ويتولّد.

يجب أن تذكر أنك قد سلّمت نفسك بملء حريتك إلى نير عبودية المسيح، وَدَعْ الصليب الذي تلبسه حول رقبتك أن يكون مُذكرًا لك بهذا: أي أنه بواسطة العبودية تسير قُدُمًا نحو الحرية الحقيقية. ولكن هل للعبد مشيئة خاصة به؟ فالعبد ينبغي أن يتعلم أن يطيع دائمًا.

ربما تسأل من هو الذي سأطيعه؟ يجيب القديسون: ينبغي أن تطيعوا مرشديكم (عب ١٧:٣). وأنتَ تسأل ومن هم مرشديّ؟ أين أجد مرشدًا واحدًا بالحقّ، فلقد أصبح أمرًا نادرًا أن يجد الإنسان مرشدًا أصيلاً؟ حينئذ يجيب الآباء القديسون أن الكنيسة قد سبقت فرأت هذا أيضًا، لذلك فمنذ زمن الرسل، قد أعطتنا معلّمًا يفوق كل المعلمين الآخرين. وهو يستطيع أن يصل إلينا في أي مكان، حيثما نكون وتحت أي ظروف نعيش. فسواء كنا في المدينة أم في الريف، سواء كنا متزوجين أم منفردين، فقراء أم أغنياء فإنّ هذا المعلم يكون معنا دائمًا وعندنا دائمًا الفرصة أن نقدم له الطاعة. هل تريد أن تعرف اسمه؟ **إنه الصوم المقدس**.

اللّه ليس محتاجًا إلى صومنا. بل هو لا يحتاج حتى إلى صلواتنا، فالإله الكامل لا يمكن أن نتصوره أنه يعاني أي نقص أو يحتاج إلى شيء مما نقدمه نحن – صنعة يديه – له. وهو لا يطلب منا أي شيء كأنه محتاج إلينا، بل كما يقول يوحنا ذهبي الفم: إنه يسمح لنا أن نقدّم له تقدمات من أجل خلاصنا نحن.

إن أعظم تقدمة نستطيع أن نقدمها للرب هي ذاتنا. ولا يمكننا أن نقدّم ذاتنا بدون أن نتخلى عن مشيئتنا الخاصة. وأن نتعلم أن نفعل هذا عن طريق الطاعة، والطاعة نتعلمها عن طريق الممارسة. وأفضل صورة للممارسة هي التي تزودنا بها الكنيسة **في أيام الصوم ومواسمها المحدّدة**.

وإلى جوار الصوم يوجد عندنا معلمون آخرون يمكننا أن نطيعهم، إنهم يلاقوننا في كل خطوة من حياتنا اليومية، لو أننا فقط تعرفنا على أصواتهم. فمثلاً زوجتك تريد منك أن تأخذ معك معطف المطر: فافعل حسبما تريد هي، لكي تمارس الطاعة.

وزميلك في العمل يسألك أن تسير معه مسافة قليلة: فاذهب معه لكي تمارس الطاعة، والطفل الصغير الذي لا يتكلم يسأل العناية والمرافقة: فافعل حسب رغبته بأقصى ما في استطاعتك، وهكذا تمارس الطاعة. إن الراهب المبتدئ في صومعته لا يستطيع أن يجد فرصًا للطاعة أكثر مما تجد أنت في بيتك. وأكثر مما تجد في مكان عملك وفي معاملاتك مع جيرانك.

الطاعة تحطّم حواجز كثيرة، فإنك تصل إلى الحرية والسلام إذ أن قلبك يمارس عدم المقاومة. وعندما تمارس الطاعة فإنّ الحواجز الشائكة تنهار أمامك. وعندئذ فإنّ المحبة تجد الطريق مفتوحًا أمامها لكي تتحرك بحرية. إنك بالطاعة تسحق كبرياءك، وتسحق رغبتك في المعارضة، وتسحق اعتمادك على حكمتك الذاتية، وعنادك الذي يحبسك داخل قوقعة صلبة. وفي داخل تلك القوقعة لا تستطيع أن تلاقي إله المحبة والحرية.

لذلك، عَوِّد نفسك أن تفرح حينما تُتاح لك فرصة للطاعة، فليس من الضروري بالمرة أن تبحث عن فرصة للطاعة، لأنك ربما تسقط بسهولة في عبودية من ترتيبك أنت، تقودك بعيدًا إلى **متاهة البرّ الذاتي**، بل ينبغي أن تثق أن فُرصًا كثيرة للطاعة يرسلها اللّه لَك بقدر احتياجك، ومن نفس النوع الأكثر مناسبة لك. ولكن إن لاحظت أنك تركت إحدى الفرص تفلت منك، فوبخ نفسك لأنك تكون قد تصرفت مثل البحّار الذي ضيّع فرصة الريح المواتية دون أن يستفيد منها.

فالأمر بالنسبة إلى الريح لا يهمها إن يُستفاد منها أم لا. ولكن بالنسبة للبحّار فإنّ الريح هي وسيلة للوصول إلى الميناء المقصود.

وهكذا ينبغي أن تفكر بهذه الطريقة في الطاعة وفي كل الوسائل المقدمة لنا من الثالوث القدوس.

تفسير القدّاس الإلهي

الأب المتوحّد غريغوريوس (الجبل المقدّس - جبل آثوس)
تعريب الشمّاس سلوان موسي - دير سيّدة البلمند البطريركيّ

تتمة من العدد السابق

ويفتح **الكاهن**: الإنديمنسي، ويقول إفشين المؤمنين الأوّل:

الإنديمنسي

نشكرك أيّها الربّ إله القوّات الذي أهّلتنا أن نمتثل الآن أيضاً لدى مذبحك المقدّس. وأن نجثو لرأفاتك من أجل خطايانا وخطايا الشعب. فتقبّل يا اللّه طلبتنا. واجعلنا أهلاً لأنّ نقدّم لكَ طلبات وتضرّعات وذبائح غير دمويّة من أجل كلّ شعبك. واجعلنا أهلاً نحنُ الذين وضعتنا في خدمتك هذه بقوّة روحك القدّوس ، لأنّ ندعوك في كلّ وقت ومكان بلا دينونة وبلا عثرة ، وبشاهد نقيّ لضمائرنا ، لكي تستمعنا وتكون لنا متعطّفاً بكثرة صلاحك.

ثمّ يُعلن : لأنّه ينبغي لك كلّ تمجيد وإكرام وسجود ، أيّها الآب والإبن والروح القدس ، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين.

واجعلنا كفوءاً

يشكر الكاهن الربّ لأنّه جعله كفوءاً أن يلتجىء إلى رأفاته ، لأجل خطاياه وخطايا الشعب. ثمّ يطلب إلى الربّ أن يجعله أهلاً ليقدّم الذبيحة الشكريّة.

طهارة الكاهن شرط **يُمَكِّنه** من خدمة الأسرار بلا دينونة. و"مطلوب من الكاهن أن يقتني الطهارة وأن تكون طريقة حياته طريقة حياة ملائكيّة" كما يقول البّار ثيوغنستوس: "لا ينبغي خلط النّور بالظلمة ، ولا الطيب بالرائحة الكريهة ، لأنّ الأمر يتعلّق بوراثته الويل (أي النواح الأبديّ) والهلاك كمتعدٍّ على المحرّمات".

ويقول الذهبيّ الفم: "إنّه يجدر بنفس الكاهن أن تكون أكثر طهارة من الأشعة الشمسيّة ، فكّر في الأيادي التي تخدم هذه الأسرار ، وفي اللسان الذي يلفظ مثل تلك الكلمات. فكّر كم يجب أن تكون هذه النفس أقدس وأطهَر من أي نفس ، أعني بها النفس التي نالت سرّ الكهنوت بواسطة نعمة الروح القدس".

ولكن ما يجعل الكاهن في النهاية كفوءاً لخدمة الأنافورا المقدّسة إنّما هو "**حُبّ التواضع**": "ضَع نفسك كما لو كنتَ خروفاً مُعَدّاً للذبح ، مُعتبراً الجميع أفضل منك فعلاً". "إعتبر نفسك تراباً ورماداً". (البّار ثيوغنستوس).

بالتواضع يُدرك الكاهن أنّه أمام المائدة المقدّسة في موقع المسيح . وكما كَهَنَ الربّ في العشاء السرّي خلاص العالم ، هكذا اليوم أيضاً في القدّاس الإلهيّ "فهو الذي يعمل كلّ شيء ويُعطي كلّ شيء". (القديس يوحنا الذهبي الفم).

"**الآمين**" التي ينشدها المؤمنون في نهاية إفشين المؤمنين الأوّل تعني أنّهم ، هُم أيضاً مع الكاهن يشعرون بسموّ الخدمة الكهنوتيّة. لذلك فإنّ الشعب ، الواقف خارج الهيكل المقدّس "يشعر مع الكاهن ويشترك معه في الصلاة".

"**الآمين**" هي عضد المؤمنين الأخويّ في جهاد الكاهن و"محنته".

الشمّاس: أيضاً وأيضاً بسلام إلى الربّ نطلب.
أعضد وخلّص وارحم واحفظنا يا اللّه بنعمتك. **حكمة**.

ويتلو **الكاهن** : إفشين المؤمنين الثاني:
"أيضاً ومراراً كثيرة نجثو لك. ونتضرّع إليك أيّها الصالح والمحبّ البشر ، لكي تنظر إلى طلبتنا وتنقّي نفوسنا وأجسادنا من كلّ دنس بشرة وروح. وتمنحنا الوقوف أمام مذبحك المقدّس غير ملومين ولا مُدانين. وهبْ اللهم الذين يُصَلّون معنا أيضاً النجاح في المعيشة والإيمان والفهم الروحي. أعطهم في كلّ حين أن يعبدوك بخوف ومحبّة بلا لوم ، ويشتَرِكوا في أسرارك المقدّسة بلا دينونة ويستحقّوا ملكوتك السماويّ.

ويُعلن: حتّى إذا كُنّا محفوظين من عزّتك كلّ حين. نُرسل لكَ المجد إيّها الآب والإبن والروح القدس. الآن وكلّ أوانَ وإلى دهر الداهرين.

الشعب : آمين.

أن تنقّينا من كلّ دنس بشرة وروح

أيضاً ومراراً كثيرة نجثو لك : نجثو لدى أقدام الربّ ونشعر أنّنا في المقام الصحيح ، لأنّنا لا نستند على أقدامنا الضعيفة (الأعتقاد بالذّات والكبرياء) ، بل على نعمته التي يقودنا إليها التواضع والإنسحاق. عندما، : "أيضاً ومراراً كثيرة" ، نجثو أمام الربّ ، فإنّنا نقف بلا دينونة لدى مائدته الرهيبة. نجثو إذاً لذاك الذي جثا أوّلاً عند أقدامنا ليغسلها من دنس الخطيئة ، حتّى نستطيع الوقوف ، "بلا لوم ولا دينونة" عند مائدته المقدّسة.

نجثو لدى المسيح طالبين "النجاح في المعيشة والإيمان والفهم الروحيّ" ، لندرك أنّ الذي يعيش حقّاً في التواضع (جاثياً) ، يكون في نعمة حضوره الدائم ، حضوره هو.

* * *

وبينما تقترب لحظة تقديس القدسات المقدّسة ، نشعر أنّه علينا أن نكون كثيري الطهارة لنقتبل المسيح. لأنّه ليس من الممكن أن نخدم بالجسد نفسه المسيح والشيطان بآن معاً. ألا تخشى أيّها الإنسان ، يقول القدّيس يوحنا الذهبي الفمّ : "ألا تخشى ، أن تُشاهد ، بنفس العين ، السرير الموضوع على المسرح حيثُ تتمّ أعمال الزنى . وأيضاً هذه المائدة الشريفة التي تتمّ عليها الأسرار الرهيبة ؟ بالأذنين تسمع أقوال الزانية البذيئة ، وأيضاً النبيّ والرسول بولس الذي يعلّم الأسرار ؟ بالقلب نفسه تقتبل تلك السموم المُميتة وأيضاً الذبيحة المقدّسة الرهيبة".

علينا حقّاً أن نجاهد لنحافظ على نقاوة النفس والجسد: "طالما أنّك تفكّر بعظَم الذبيحة ، إعمل كي تكون أعضاء جسدك بهيّة. **فَكِّر** في مَن تقتَبل يدك ، ولا ترفعها البتّة لتضرب أحداً. **فَكِّر** أنّك لا تقتبل المسيح بيدك فقط ، بل اقترب منه بفمك ، واحفظ لسانك نقيّاً من كل كلام بذيء وسباب وتجديف وأقسام واهية وما إلى ذلك ... وعندما تفكّر أنّ قلبك يتقبّل ذلك السرّ الرهيب ، فلا تضمر السوء على الإطلاق لقريبك ، بل حافظ على قلبك نقيّاً من كلّ خبث. وهكذا يكون بمقدورك أن تحافظ على العيون والآذان ... قد دُعيتَ إلى عُرس أيّها الحبيب ، فلا تدخل إلى ردهة العرس بثياب رجسة ، بل ارتدِ الحلّة المناسبة". (القدّيس يوحنا الذهبي الفم).

وحُلّة العُرس ، هي الأستعداد الروحي المناسب ، على حدّ تعبير الآباء ، انها هبة العريس الختن الذي يدعونا إلى عشائه . ونحنُ نطلب إليه بإلحاح أن يجعلنا أهلاً لنحافظ عليه نقيّاً "من كلّ دَنس بَشَرَة وروح".

القديس يوحنا الذهبي الفم

ثمَّ يبدأ ترتيل التسبيح الشروبيمي:
أيها الممثّلون الشروبيم سرياً والمرنّمون التسبيح المثلّث تقديسه للثالوث المحيي لنطرح عنّا الآن كلّ اهتمام دنيويّ لكوننا مزمعين أن نستقبل ملك الكلّ محفوفاً من المراتب الملائكيّة. هلّلويا.

التسبيح الشروبيمي

يتألّف "**الدخول الكبير**" من سلسلة تسابيح وصلوات وممارسات يقوم بها الكاهن والشعب. يبدأ الشعب بترتيل التسبيح الشروبيمي بينما يقوم الكاهن بتلاوة الإفشين المرتبط بهذا التسبيح.

وتدعونا الكنيسة إلى الاستعداد لاستقبال ملك المجد الآتي إلى المدينة المقدّسة. تدعونا للاستعداد لنسير معه في طريق الشهادة فنقف قربه عند الصليب مع أمّه الكليّة القداسة والتلميذ "الذي أحبّه".

فلنطرح عنّا الآن ، كما يقول التسبيح ، كلّ اهتمام دنيويّ لأنّنا عازمون أن نستقبل ملك الكلّ. فلنسرع خُطانا من عالم المشاغل المعيشيّة واهتماماتها ، لكي "**ندخل**" إلى مكان حضور المسيح: "لقد خَرَجَ المجوس من بلاد فارس وأتوا ليسجدوا للمسيح. ابتعد أنتَ أيضاً عن الإهتمامات الدنيويّة وأسرع نحو المسيح" ، يقول لنا الذهبيّ الفم.

وفي مكان آخر، يشير علينا بالقوّة الروحيّة التي سنرتفع بها فوق كلّ أمر عابر ومنظور: إنّها محبّة اللّه. "إذا ما التهب أحدهم في داخله بمحبّة اللّه ، فإنّه لا يحتمل بعدُ ما يقع تحت ناظريه الحسيّين. بل، إذ قد اكتسب ناظرَين آخرين، أقصد عين الإيمان، فهو على الدوام مستغرق بالأمورَ السماويّة وإليها ينجذب فكره. وبينما يسير على الأرض، يبدو وكأنّه يعيش في السماء ، وهو في كلّ شيء يفعل ويتصرّف على هذا النحو ... وإذ يحدوه الشوق أن يرتفع من الأرض إلى السماء ، يتخلّى عمّا هو منظور، حتى يكون بمقدوره الصعود إلى القمّة نفسها".

نفقد صبرنا لكثرة ما نرغب البلوغ إلى قمّة الجلجثة لنعيّد عيد المسيح. لذلك تخلّينا عن الإهتمامات المختلفة: "لأنّ هذا هو العيد الحقيقيّ، حيثُ خلاص النفوس، وحيثُ السلام والوئام، حيثُ انتفى كلّ ما هو عالميّ. هناك هو العيد حيثُ لا يركض الطبّاخون ولا تُذبَح حيوانات ، بل يسود سكون وهدوء وصفاء وفرح وسلام ووداعة وخيرات لا تحصى عِوَض الإهتمامات الدنيويّة" (اقوال يوحنا الذهبي الفمّ).

ونستودع في يديّ المسيح كلّ همّ معيشيّ أو بالأحرى نستودعه كلّ حياتنا. وهو يرفع حملنا ويصعد إلى الجلجثة. هو الذي يهتمّ لحاجات حياتنا: "إذ جعلتم كلّ همّكم في اقتناء ملكوت السموات ، يقول لنا الربّ على لسان القدّيس اسحق، فإنّي لن أحرمكم ضرورات وحاجات الطبيعة المنظورة".

ويقول الذهبيّ الفم: "إنّ النفس التي لم تتعلّم أن تزدري الصغائر والهموم المعيشيّة، ليس باستطاعتها أن تتأمّل السماويّات وتعجب بها". ويحثّنا أولئك الذين تذوّقوا نعمة السماويّات بالقول: يا إخوة ، "لا يدخل أحدكم إلى الكنيسة محمّلاً باهتمامات دنيويّة، ومخاوف وقلق. ،لكن إذ قد وضعنا هذه كلّها خارجاً، عند باب الكنيسة، فلندخل جميعنا، فإنّنا ندخل إلى البلاط السماويّ، ونطأ أماكن كليّة الضياء".

يتبع في العدد القادم

عقيدة الخلاص

حسب التعاليم اللاهوتية

غريغوريوس اللاهوتي — يوحنا الذهبي الفم — باسيليوس الكبير

للآباء الكبادوك: باسيليوس الكبير، وغريغوريوس اللاهوتي، وغريغوريوس النيسي

مقدّمة:

من هم الآباء الكبادوك ؟

يُسمّى بالآباء الكبادوك كلٌّ من القديس باسيليوس الكبير أسقف قيصريّة (+٣٧٩) وأخوه الأصغر القديس غريغوريوس النيسي (+٣٩٤) وصديقه القديس غريغوريوس اللاهوتي أو النيزينزي (+٣٩٠).

التعاليم اللاهوتيّة للآباء الكبادوك:

أسّس الآباء الكبادوك ما يُسمّى بالفكر اللاهوتي الكبادوكي ، والذي كان في الواقع إمتداداً للفكر النيقاوي وتعاليم القديس أثناسيوس الكبير وتعاليم كنيسة الأسكندريّة ، ولقد بدأ القديس باسيليوس هذا "**الفكر الكبادوكي**"، الكبير وأكمله كل من القديس غريغوريوس اللاهوتي والقديس غريغوريوس النيسي.

من عام ٣٧٠م صارَ إسهام القديس باسيليوس أسقف قيصريّة في التعاليم اللاهوتيّة ، ومعه الآباء الآخرون في منطقة كبادوكية إسهاماً واضحاً ثمّ في القسطنطينيّة منذ أن سيمَ القديس يوحنا الذهبي الفم (٣٩٨م) بطريركاً لها.

عقيدة الخلاص حسب (التعاليم اللاهوتيّة للآباء الكبادوك): الخليقة الجديدة والعتيقة:

تمثّل المقارنة التي يجريها الآباء الكبادوك دائماً **أفضل مُرشد** للفهم الصحيح لموضوع الخلاص حسب تعاليمهم اللاهوتيّة ، بمعنى تلك المقارنة بين الخليقة الجديدة والعتيقة، أي بين تجديد البشريّة وبين خلقتها الأولى (القديس غريغوريوس النيسي: ضدّ أفنوميوس) ، فالواقع أنّ هذا الربط بين الخليقتين يسمح بتقييم دقيق للشروط التي على أساسها تتحقّق الخليقة الثانية ، السقوطَ المأساوي للإنسان أي المأساويّة للإنسان الأوّل ليست هي فقط السبب في إجراءات الخلق الجديد بل هي أيضاً الدافع الرئيسي لها. فاللّه هو المسئول عن الخليقة الأولى، وبالتالي فليس من الممكن أن يكون آخر سواه مسئولاً عن تجديد هذه الخليقة وليس هناك مجال لأي دافع آخر في عمليّة التجديد هذه سوى صلاح اللّه ، ولا يوجد هدف آخر لها سوى **خلاص الإنسان**.

سقوط الإنسان و التعليم عنه عند الآباء الكبادوك:

في حديثنا عن خلاص الإنسان، لابدّ أن نجيب عن الأسئلة الأساسيّة المتعلّقة بوجود الإنسان وهي:

١ ـ من أي شيء يخلُص ؟

٢ ـ في أي حالة وُجِدَ حتى أنّه كان يحتاج إلى الخلاص ؟

٣ ـ كيفَ كانت حالةَ وجوده الأولى ؟

إنّ إجابة الآباء الكبادوك على هذه الأسئلة ، يمكننا أن ندرسها في شكل إجمالي وذلك لأنّها إجابات متفقة إلى حدٍّ كبير وقد تناولت النقاط التالية:

قيمة الإنسان..

الإنسان في حالته الأولى يوصف بأنّه "**تاج الخليقة**" ، وأنّه شيءٌ عظيمٌ وَقَيِّم حسب قول القدّيس باسيليوس (شرح المزمور ٨:٤٨). وهو الذي يملك على الخليقة العاقلة حسب قول القديس غريغوريوس اللاهوتي (المقالة اللاهوتيّة ٤٥ :٧). أو كما يقول القديس غريغوريوس النيسي هو سيّد الأرض وكمثال للّه (القديس غريغوريوس النيسي : الموعوظين ٦).

وقيمة الإنسان تأتي أولاً من مكانته على الحدود الفاصلة بين عالم المادّة وعالم الروح ، فلقد خُلقَ أخيراً بعد عالم الملائكة والأشياء الماديّة، وهو يحوي داخله كلَا العُنصرين المختلفين ، وفي علاقة أخويّة تُجمل الخليقة كلّها.

وهو وإن كان خاضعاً للخالق إلاّ أنّه ، في ذات الوقت ، هو نفسه سيّد. وهو "**مواطن**" أرضي وبذات الوقت سماويّ. ليس هو في عظمة اللّه لكنه ليس بالشيء القليل في مقابل العالم. (المقالة اللاهوتيّة ٤٥ :٧ للقديس غريغوريوس اللاهوتيّ). بل إنّ الآباء الكبادوك لم يتردّدوا في أن يستخدموا في هذا الإطار التعبير الذي استخدمته الفلاسفة بأن الإنسان هو "**عالمٌ صغير**". (النفس والقيامة : للقديس غريغوريوس النيسي).

ولقد كان لتواجد هذين العنصرين المختلفين في الإنسان (المادي والروحي) دوراً هاماً في وجود تركيب متكامل ومتناسق جدير بالتعجّب ، ذلك لأنّ الجسد خُلقَ كتقدمة وحُلّة مناسبة للعقل. وفي هذا التكامل المُركّب فإنّ عملَ النفس يمتدّ إلى الجسد كلّه

بشكل يجعلها تقود أعضاءه بطريقة مُنسجمة وفي تناسق. وتعمل قوى النفس ليس فقط في الجسد بل يتعاطف الجسد أيضاً مع النفس، وتكون حياة الجسد بالنفس ، وشهوات النفس بالجسد. فقد ركزّ الآباء الكبادوك وبشكل قاطع على التوافق والانسجام في هذا التكامل. هذا التوافق والإنسجام يظهر في حريّة الكيان الشخصي والتي يضعونها في إطار عمل اللّه الخلاّق .

وَكَوْن أن عنصرَين مختلفين (الجسد – النفس) يرتبطان بهذا التوافق القويّ ، فإنّ هذا يمثّل أحد معجزات الخلق ، غير أن هذا ليس الأمر الذي يصعُب فهمه ، إذا نحنُ أخذنا في الاعتبار أن كلا هذين العنصرين هما عناصر مخلوقة ، وبالتالي فهما ينتميان إلىَ فضيلة واحدة من حيثُ وحدانيّة السبب في وجودهم. ومن ناحية أخرى فإنّه يوجد رباط يستحق التقدير الأكثر ألا وهو الرباط بين المخلوق والخالق.

القديس غريغوريوس النيسي

وهكذا فإنّ القديس غريغوريوس النيسي في نظريته (الجدليّة – دياليكتيكي) للأشياء ، يضع كل الكائنات بين قُطبين كلٌ عكس الآخر ، لكنه دائماً ما يجد عناصر تمثّل حلقات وصل بينها ، فهو يميّز الكائنات على أساس علّة وجودها ، إلى مخلوقة وغَير مخلوقة من ناحية ، وحسب طبيعتها (جوهرها) إلى روحيّة وماديّة من ناحية أخرى ؛ فطبيعة اللّه غير مخلوقة (وأيضاً الروح القدس) أما الروح والمادّة فهما من المخلوقات ؛ ومن بين المخلوقات فإنّ الروح المخلوقة هي إمّا في جسد أو عديمة الأجساد.

ومن ناحية أخرى ، فهو عندما يتبع التقسيم بحسب الطبيعة ، فإنّه يُصنّف الروح إما غير مخلوقة (اللّه) أو مخلوقة. وحسب هذين التصنيفين ، فإنّ الروح هو حاضر في كل حالة، ولكنه بينما هو في الطبيعة غير المخلوقة هو الحاضر والفاعل ، فإنّه في الطبيعة المخلوقة (ونقصد الروح في الإنسان) هو حاضر يتقبّل فعل القدرة الإلهيّة (وليس هو الفاعل من نفسه).

وبما أنّ الإنسان هو روح وجسد ، فإنّه يوحّد فيه عُنصريّ الخليقة العاقلة وغير العاقلة ، وأيضاً يوحّد فيه الخليقة بالخالق في نفس الوقت.

إنّ كلّ تبعات هذه الوحدة بين عناصر الخليقة في الإنسان لها ارتباط قوي بالهدف الذي من أجله قد خُلقَ الإنسان ، والذي هو في الواقع يمثّل كمال الإنسان وعن طريقه يُمجّد اللّه. فارتباط النفس بالجسد يهدف إلى أن تحصل النفس على المجد العُلوي ، كمنتصرة على الجسد الأرضيّ ، لا كمحطّمة إيّاه ، لكن كجاذبة له نحوها في سعي وتقدّم للأمام إلى الحدّ الذي ينقادان معاً للروح ، فالعنصر غير العاقل يستمدّ حياة من العنصر العاقل.

والملائكة ، تلك الأرواح المُدركة هي في السموات لأنّ ذلك يُناسب طبيعتها ؛ ولكن بهذه الطريقة كانت الأرض ستبقى محرومة من وجود الروح ، ولكي لا تبقى هكذا أعطى اللّه للإنسان مع الروح هذا الجزء الأرضيّ كعنصر ثان في تكوينه حتى يستطيع أن يسكن الأرض ، وفي هذا التركيبً العجيب ، فإنّ النفس والجسد ، أو بعبارة أخرى السماوي والأرضي ، يتحدان ، وفي وحدتهما هذه يمجّدان اللّه ؛ فهَدَف الخَلق يرجع للخالق ، وهكذا تكتسب الخليقة معناها الكامل والحقيقي.

وهكذا نجد أن الآباء الكبادوك قد وضعوا خطوطاً واضحة تردّ على الذين تصوّروا أنّ اللّه والطبيعة هما شيء واحد أو ما كانوا يطلقون عليه "وحدة الوجود" ، وكانت تعاليمهم تشدّد على التميّيز بين الخالق والمخلوقات ، ولكن هذا لا يعني أنه لا توجد علاقة وثيقة بين الخالق والمخلوق فهما عاملان معاً.

قرابة الإنسان الروحيّة:

إنّ قيمة الإنسان تكمُن في قدرته على الأختيار والسعي للكمال ، فإصرار الآباء الكبادوك على "القرابة الروحيّة بين اللّه والإنسان" ترجع إلى أنّهم يَرَوْن في هذه الصلة (القرابة) ، الإمكانيّة في العمل المشترك بين الإنسان واللّه. وهذه الشركة في العمل هي في المقام الأوّل موضوع اختيار الإنسان.

والمقولة القديمة "**المثيل بمثيله**" تمثّل دليلاً أساسيّاً في فهم تعاليم الآباء الكبادوك عن الإنسان ، فالعين تتواصل مع الضوء لأنّها تملك قدرة ضوئيّة ، وهكذا فقدرة الإنسان على التواصل مع اللّه تأتي مما في طبيعته من قرابة نحو اللّه ، وهذه القرابة تأخذ شكلاً مُحدّداً من خلال تعبير "**حسب صورة اللّه**". «وقال اللّه لنعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا» (تك١:٢٦).

ومن الجدير بالذكر أن هذا التعبير منذ البداية بمثابة أساس لعلم "الأنثروبولوجي" المسيحي.

"فحسب الصورة" هو عمل كل الكيان البشري ، وعلى هذا فأيّة محاولة لإيجاد موضع مُعَيّن لعمل "الصورة" داخل الإنسان هي محاولة بدون جدوى ، و"حسب الصورة" ليس هو شيء يُضاف كشيء زائد، لكن هو ذلك الشيء الذي يجعل الإنسان إنساناً.

"حسب الصورة" ؛ بالتالي هي تلك القوّة المعطاة للإنسان ، لكي تُمكّنه من أن يكون حرّ الإرادة ، ذو سيادة ، وخَلاّق. فكما أنّ اللّه حُرّ في أفعاله هكذا يكون الإنسان حُرّاً ، وكما أن اللّه يملك من فوق هكذا يملك الإنسان على الأرض ، وكما أن اللّه يخلق من العَدَم هكذا الإنسان يستخدم المادة المنظورة فيما يصنع.

الطريق الذي سلكه الإنسان..

إنّ الطريق الذي سلكه الإنسان بعد ذلك هو ما جعل الآباء الكبادوك مضطرين أن يلتفتوا أكثر إلى معنى إرادة الإنسان الحرّة ، والتي منها تنبع كل إمكانيات الإنسان وهي القوّة التي تشكّل الشخصيّة الإنسانيّة وبالتالي فهي التعبير الرئيسي للصورة الإلهيّة

في الإنسان .. وبغير شك ، فإنّ قيمة سلوك الإنسان تُستَمد من إرادة الإنسان الحرّة، وذلك لأنّ اللّه لا يُسَرّ بالسلوك الأضطراري، بل بالسلوك بحسب الفضيلة كما يقول القديس باسيليوس ؛ فالفضيلة تُولَد من حُريّة الإختيار، والأختيار الحرّ يتوقّف على الإرادة الحرّة، (القديس باسيليوس: المقالة في أن اللّه ليس هو سبب الشرّ). فالإضطرار هو حالة عبوديّة يُفسد كمال الإنسان ويجعل الصورة الإلهيّة في الإنسان قاتمة ، فكيف ستكون طبيعة إنسانيّة مستعبدة للضرورة على صورة اللّه؟ (القديس غريغوريوس النيسي: المقالة في التعليم المسيحي الكبير). الإنسان كمخلوق على صورة اللّه لا يملك كل شيء في حالة كمال ، وما ينقصه يعوّضه من خلال الإمكانيّة التي أعطيت له أن يكون مخلوق "على شبه اللّه" . فالصورة والمشابهة يرتبطان معاً بشدّة مثل وَجهَين لنفس القوّة الواحدة. فـ "على صورتنا" التي وردت في آية سفر التكوين ، يمكن أن توصَف بأنّها قوّة **(إمكانيّة)** "وكشبهنا" ، يمكن أيضاً أن توصَف بأنّها تفعيل لهذه الإمكانيّة...

غريغوريوس اللاهوتي

وبالتالي "كشبهه" هو الميل نحو اكتساب الكمال والذي يتم من خلال **جهاد مستمر ومسيرة للأمام بلا توقّف** ، فالإنسان لا يملك شيئاً تاماً ، وليسَ "لديه" فقط بل إنّه يكتسب أيضاً، وهو ليس "كائن" فقط وفي حالة سكون لكنه أيضاً "**كائن في صيرورة**" ؛ فالكينونة فيه هو ذلك الشيء الذي أعطاه اللّه إيّاه ، بمعنى الطبيعة البشريّة (نفسه وجسده)، وما يصير إليه هو ما يكتسبه إيجابيّاً بنفسه، أو على العكس ما ينتهي إليه (سلبيّاً) أيضاً بنفسه، وقوّة حريّة الإرادة يمكن أن تقود الإنسان إلى الكمال ، غير أن لحريّة الإرادة هذه وجهة أخرى ، فإنّها يمكن أن تقود الإنسان أيضاً إلى السقوط. وهذا يعني أن حريّة الإرادة يمكن أن تصل بالإنسان حيثُ يُريد إمّا إلى أعلى أو إلى أسفل.

وإلى ذلك الوقت (ما قبل السقوط) ، كان الإنسان ـ وبحسب ما تمّ شرحه ـ "**كاملاً**" لأنّه عاشَ حُرّاً في مسيرة بلا ألم نحو الكمال ، مستخدماً إرادته الحرّة ومستثمراً طاقاته الروحيّة ، محتفظاً بوحدة كيانه الروحيّة والجسديّة ، ولم يسمح أن تُسَيّطر عليه قوى العالم غير العاقل ولا قوى الزمان ولا المكان، ولهذا استطاع التغلّب على المرض والألم ، ومع أنّه لم يكن قد حصلَ على لباس المجد الخالد، والذي كان مزمعاً أن يأخذه كجائزة للفضيلة عندما يصل إلى حالة ثابتة لا تسمح بسقوطه، ورغم كل نقصان، إلاّ أن الإنسان كان قدً اكتسب مكانة جعلته في علاقة قريبة من اللّه ومنها استطاع أن يتمتّع بالحضور الإلهيّ.

التغيّر في الطبيعة البشريّة..

للطبيعة المخلوقة خاصيّة أساسيّة ، تميّزها بطريقة واضحة عن الطبيعة غير المخلوقة التي لا تقبل أي تغيير أو تبديل ، وهي أنّها خاضعة للتبديل والتغيير خاصة وأنها هي بعينها قد أتت من عملية تغيير ، بمعنى تغيير حالة العدم إلى حالة الوجود.

تغيير جديد جدير بالإهتمام ، قد حَدَث في مسيرة الجنس البشري؛ وقد حدث هذا التغيّر من **قَبْلُ** في مسيرة الشيطان الذي حين النعمة الإلهيّة هرب إلى الظلمة. وهو الذي أرشَدَ البشريّة لنفس الطريق.

غير أن مصدَر هذا التغيير (في الإنسان) ، يوجد في موضع آخر ، أي في حريّة الإرادة ، والتي يوجد أمامها دائماً طريقان ، إما الكمال أو السقوط .. وبالنسبة للقديس باسيليوس وباقي الآباء الكبادوك ، فإنّ الكمال ليس هو الشيء الذي يحدث كأمر مفروغ منه ، بل هو الشيء المطلوب السعي إليه ، حتىً ولو كانَ آدم الأوّل قد حَصَلَ على جزء منه ولكن بطريقة غير ثابتة.

يعلّل القدّيس باسيليوس سبب السقوط فيما يسميه **بالشراهة** فيقول : إنّ الإنسان الأوّل طَلَبَ أكثر ممّا عنده وأكثر ممّا يستطيع اكتسابه ، وسعَى للحصول على خيرات ليست ملكه ، ولم يتوقّف عند هذا بل أنّه أهمل فيما هو بين يديه. أما هذا الشيء الإضافي الذي سعَى في الحصول عليه فهو المساواة باللّه ، تلك المساواة التي وعَدَهُ بها الشيطان «فقالت الحيّة للمرأة لن تموتا ... **وتكونان كاللّه** عارفين الخير والشرّ»(تك٣: ٤-٥)، بالإضافة إلى عطيّة اللّه له ؛ فالشراهة هي ذلك الشيء الذي أثارَ الشهوات مُبكراً في الإنسان ، الذي كان سيصل وباستمرار إلى مستويات عُليا من الفضائل ومن معرفة اللّه والإشتراك في حياة اللّه عن طريق تنمية إمكانيّاته ، ولكنه رَغبَ في الوصول مرّة واحدة إلى نهاية المطاف ووصَلَ به الحال إلى تعدّي النواميس التي تضبط نمو حياته الروحيّة .. إنّ شجرة معرفة الخير والشر حسب تفسير القديس غريغوريوس اللاهوتي هي "**رؤية اللّه**" ، على قمّة يصعد إليها المرء بعد مجهود كبير ، لأنّ الرؤية هي عمل فائق لا يدركه متهاون أو غير ناضج.

هذه الحركة غير الطبيعيّة للإرادة تسبّبت في وجود عدم تمييز وعدم سيطرة على الإرادة ، وقادت بالتالي ، كأمر طبيعي إلى مستويات إما عُليا أو دُنيا من المطالب ، حيثُ استبدل التلذّذ الروحي بالماديّ.

الخطيّة وانقسام الشخصيّة:

ويطلق الآباء الكبادوك بين السقوط والخطيّة ، وهم عندما يذكرون تعبير "الخطيّة" فهم يقصدون وجهين ، الداخلي والخارجي ، الشخصي وأيضاً علاقة الشخص بالآخر ، ولا يمكن الفصل بين هذين الوجهين ، لأنّ الأوّل يجلب الثاني ، ولا يمكن فهم الواحد بدون الآخر.

فالوجهة الشخصيّة للسقوط تقوم أساساً على ما حَدَثَ من شَرخ في الشخصيّة الإنسانيّة. فتخطيّ الرتم الطبيعي للحياة أدّى إلى أضطراب العلاقة بين النفس والجسد داخل كيان الإنسان ، وبالتالي اضطربت علاقة التناغم والإنسجام بين عنصريّ الكيان البشري ، وتحوّل هذان العنصران إلى أعداء كلٌ يعمل ضدّ الآخر ، وأصبحت رغبة الجسد ضدّ رغبة النفس ، فتصارعت الرغبات

وأحياناً كان هذا يتمّ بشكل تراجيدي ؛ وبعدما كان الجسد ـ سابقاً ـ **مَدعُوّاً لعَدَم الفساد وعدم الشهوة وعدم الموت ، وليس الجسد وحده بلَ كلّ الكيان البشري** ، أصبَحَ على العكس يجرّ النفس أيضاً إلى أسفل.

الشخصيّة المنقسمة هي أيضاً شخصيّة ذات إرادة منقسمة مشروخة ؛ ودائماً تتساءل ماذا تختار، هل ما يُرضي النفس أو ما يُرضي الجسد؟ والآن الأقوى هو الذي يُسيّطر ، وفي حالات الاضطراب فإنّ قوى الفساد هي التي تغلب.

أما عن العلاقات الشخصيّة مع الغير بعد ما سَقَطَ الإنسان ، فيتّضح هذا الجانب في اضطراب العلاقة بين الإنسان واللّه ، فانقسام الشخصيّة تَبعَهُ تغرّب عن اللّه ، وهذا هو الأشنع من كل الشرور ، **والتغرّب عنَ اللّه** (θεοῦ ἀλλοτρίωσις) هو التعبير الأكثر شيوعاً . وعندما نَصف التغيير الذي حدث في علاقات الإنسان مع غيره بأنّها تغيّرات خارَجيّة ، فلا نقصد أنّها مجرّد تعدي الوصايا التي وضعها اللّه ، والتي يستوجب اتهام يلزم له عقاب قانوني ؛ فالنّاموس هو إلهي من ناحية، لكنه من ناحية أخرى ناموس داخلي ، موضوع في طبيعة الإنسان ، وتعدي هذا الناموس واضطراب المسيرة الطبيعيّة للإنسان نحو الكمال ، جلبت على شخصيّة الإنسان وعلاقاته مع الآخرين **الدَمار** ، وهذا تسبّب في اضطرابات أخرى .. كل ذلك كان بمثابة جريمة وعقاب في نفس الوقت.

دائماً ما نجد في طبيعة الإنسان المشروخ أنّه يحاول أن يجد مسؤولاً آخر غيره عن جرمه ، وفي الحالة التي نتحدّث عنها وهي حالة سقوط الإنسان ، نجد أنّه سَعَى لإيجاد مسئول آخر عن سقوطه ، فتراه قد صَنَعَ "**آلهة**" ، كثيرة له ، وجعلهم مسئولين عن ضعفاته وعن رغباته ، وذلك لكي يُعزّي نفسه بتأكيد باطل بأنّه لم يرتكب أي أثم ، وكأنّ هذه "**الآلهة**" مشتركة معهً في الخطيّة ، وكأنّ الخطيّة ـ بالتالي ـ هي شيء يليق بالألوهة ؛ وعندما سَقَطَ الإنسان ، سَحَبَ معه كلّ الخليقة غير العاقلة ، وأصبَحَ العالم شَرِساً وأنبت له شوكاً وحسكاً ؛ وطبيعيّاً أصبَحَ الإنسان يشعر بالغُربة حتى عن نفسه ، يتفهّم العالم المحيط به على أنّه سجنٌ له ، لأنّه في الحقيقة وبأعماله وضَعَ نفسه في عبوديّة ، وتحت رحمة القوَى الطبيعيّة. مأسوراً بالأفكار الشيطانيّة يسبح في مستنقعات الرذيلة، الأمر الذي أدّى إلى تدخل العناية الإلهيّة بتجسّد الكلمة وتجديد الخليقة الساقطة، التي بلغت ذروتها بالآلام الطوعيّة المحيية على الصليب المقدس باذلاً دمه الكريم كفّارة لخطايانا ساحقاً رأس الشيطان (تك٣:١٥)، بإنتصاره الظافر على الموت **بقيامته المجيدة**.

ما أعظم أعمالك يا ربّ كلّها بحكمة صنعت

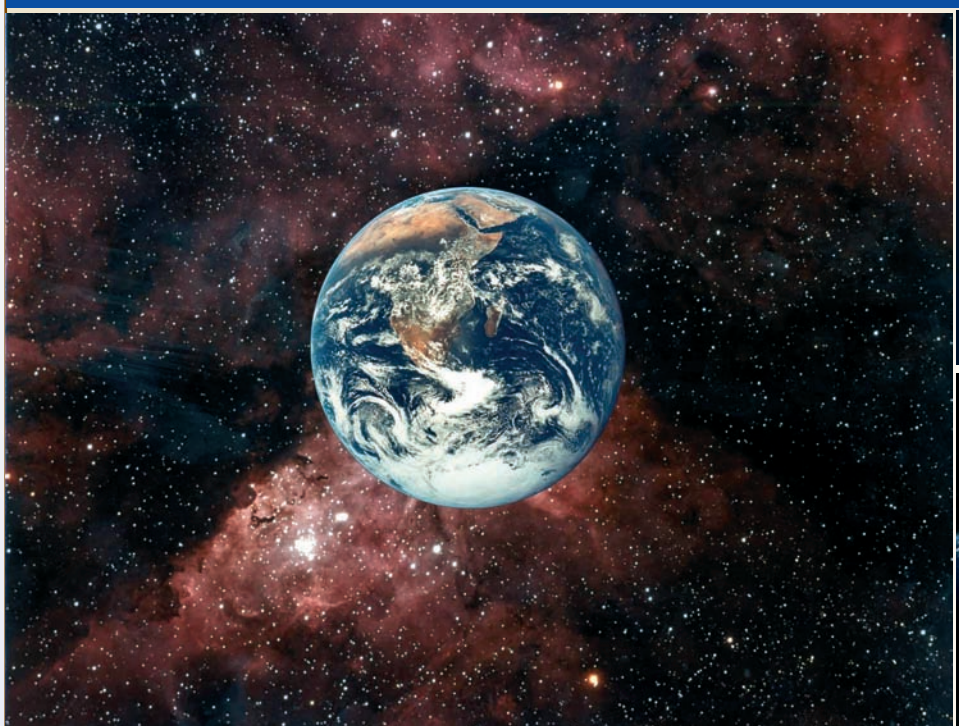

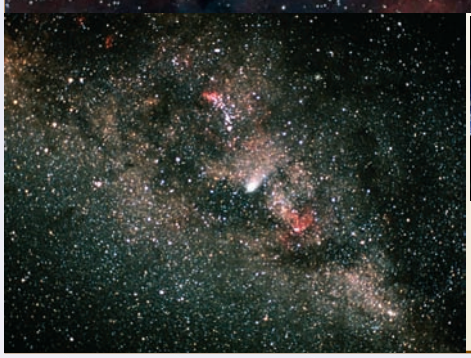

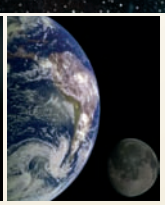

السماوات تذيع بمجد الله والفلك يخبر بأعمال يديه

المحارب العجوز

يحدثنا پاليديوس المؤرّخ الآبائي المشهور عن محارب عجوز ، يذكّرنا بيعقوب إسرائيل الذي صارَعَ مع اللّه وغَلَب ، كان فلاّحاً وأصبح الطوباوي بولس البسيط، الذي صارَعَ مع القديس أنطونيوس حتى اضطره أن يقبله راهباً بل ونذراً له، وبعد أن صمّم أنطونيوس بكافة الطُرق أن يرفضه .... لذلك أصبح القدّيس بولس البسيط نموذجاً رائعاً لمفهوم إغتصاب الملكوت !

القدّيس أنطونيوس الكبير

القدّيس بولس البسيط (بولا)

قالَ پاليديوس:

كان يوجد رجل فلاّح بسيط وبريء في طباعه أكثر من كافة بني النّاس ، إسمه بولا (بولس) ... وكانت له زوجة جميلة ، ولكنّها كانت شرّيرة وخبيثة في أعمالها وسلوكها ، وكانت قد زاغت من ورائه مدّة طويلة وهي عائشة في الخطيئة ...

وفي ذات يوم . عاد بولا من الحقل فوجدها مع إنسان في ذات الفعل ، وكان هذا بمثابة تحريك من النعمة ألهَبَ قلب بولا لكي يسلك طريقاً أفضل! فلما دَخَلَ عليهما سَخِرَ منهما، إنّما برزانة وعفّة قائلاً باللغة العاميّة : « **طيّب طيّب ، صحيح ما هي إلي ولا أنا إلها! ... وحياة يسوع من إسّا مش رَح أشوفها ... خدها إلَك هي وولادها، وأنا رايح أترهبَن ...**» .

ودونَ أن ينطق ببنت شفّة لأحد قَط ، إنطَلَقَ مسافراً وحده وقطَع ثمانية فراسخ حتى بلَغ قلايّة القدّيس أنطونيوس الكبير ... فلمّا دَقّ الباب، خرجَ أنطونيوس سائلاً:

ـ ماذا تُريد ؟

فأجابه بولا : أريد أن أصير راهباً ...

فردّ عليه القدّيس أنطونيوس: أنتَ رجل عجوز ، وعمرك ثمانون سنة ، ويستحيل عليك أن تصير راهباً هنا. إذهب إلى الريف واشتغل هناك لمعيشتك واشكر اللّه أيضاً أنك غير كفء لتحمل أتعاب الصحراء.

ولكن مرّة ثانية أجابَ بولا: كل ما تشاء أن تعلّمه لي أنا مستعد أن أعمله! ...

فردَّ عليه القديس أنطونيوس: قد قلتُ لك إنك رجل عجوز وإنك لا تستطيع أن تعمل هنا ، فإن كنت تُريد أن تصير راهباً إذهب إلى أي دير واسكن حيثُ يسكن الأخوة حتى تجد من يحتمل ضعفك وأمراضك. أما أنا فأسكن وحدي هنا وآكل مرّة كل خمسة أيام، وحتى هذه الأكلة لا آكلها كاملة! ..

وبهذه الكلمات وغيرها حاوَل أنطونيوس أن يُخيف بولا...

ولكن بولا لم يقتنع أبداً ولم يَخَف ورَفَضَ أن يذهب ... فما كان من القديس أنطونيوس إلاّ أن دخَلَ قلاّيته وأغلَقَ الباب على نفسه ثلاثة أيّام ، وبسبب أنه يعلم أن بولا على الباب، لم يخرج قَط من القلايّة هذه الثلاثة أيام حتى ولا لقضاء حاجة الطبيعة.

ولكن بولا لم يتزحزح من على الباب !

وفي اليوم الرابع لما اضطَرته حاجة الطبيعة ، فَتَحَ أنطونيوس الباب وخَرَج فانتهر بولا قائلاً:

ـ إذهَب من هنا أيّها الرَجُل العجوز لماذاتُضايقني؟ مستحيل أن أجعلك تسكن هنا ...

فأجابه بولا بحزم : وأنا مستحيل عليَّ أن أموت في موضعٍ آخر إلاّ هنا ! ...

فلمّا تفحّصه القديس أنطونيوس جيّداً ووجد أنه لا يحمل معه أي زاد لا خبزاً ولا ماءً؟ وأنّه أمضى هذه الأربعة الأيام صائماً بدون أكل أو شُرب ؛ قال في نفسه: «لربما إن مضى يقع ويموت ويُدخل نفسي في مصيبة».فَقَبِلَهُ وأدخله القلاية.

وابتدأ أنطونيوس يُباشر أعمالاً نُسكيّة شديدة وصارمة لم يُمارسها حتى ولا في أيام شبابه وذلك كله بسبب بولا ...

ونَقَعَ بعض الخوص في الماء وأعطاه لبولا قائلاً: «خُذ هذا الخوص واعمله حصيرة كما أعمل أنا تماماً». فأخذَ الرجل العجوز الخوص وابتدأ يعمل حصيرة بلغ طولها ١٥ ذراعاً ، حتى إذا بلغت الساعة التاسعة (الثالثة بعد الظهر) كان بولا قد أخَذَ به التعب كل مأخذ.

فلما راجَعَ أنطونيوس ما قد عمله بولا غَضِبَ عليه وانتهره قائلاً: «شُغلَك مفكوك لا ينفع ، حلّهُ كله واعمله مَرّة أخرى بإتقان ويجب أن يكون مشدوداً قويّاً لا رَخواً مترهلاً».

فحلَّ بولا كل الحصيرة وعملها من جديد ولكن بَدَت الحصيرة مفكّكة أكثر بسبب أن الخوص تَلِفَ من الربط والفَكّ ...

كلّ هذا وبولا صائم طول هذه الأيّام. وأنطونيوس زادَ عليه بهذه المشقّات ، وكانت نفس أنطونيوس منفعلة بالغضب عليه حتى يقرف ويرحل عنه ...

ولكن لما رأى أنطونيوس أن بولا لم يغضب قَط ولا تململ ولم يَبدُ منه أي شكوى ، تحنّن عليه وفاضت شفقته ...

وهكذا ، وبعد أن أمضى بولا هذا اليوم أيضاً وهو منهك القوى ، قال له أنطونيوس: «أتريد أن تأكل لقمة خبز؟». أجابه بولا العجوز: «حسب مسرّتك يا أبي!».

وهذا أخجَلَ أنطونيوس بالأكثر ، لأنّ الرجل لم يُسرع في إبداء رغبته لدعوة الأكل بل جعل كلّ رَغبته رهن إشارة أنطونيوس نفسه !

حينئذ قال له أنطونيوس : «أعددْ المائدة واحضر الخبز».

ووضع أنطونيوس أربع خبزات كلٌ منها يزن ست أوقيّات بعد أن غمسها في الماء لأنّها مقدّدة، جاعلاً خبزة واحدة أمامه وثلاث خبزات أمام بولا.

وبعد أن وضعهم ابتدأ يرتل مزموراً من حفْظه إثني عشرة دفعة مع اثني عشرة صلاة، وكان هذا لتجربةَ بوَلا ولكن بولا شاركه الصلاة بفرح. وبعد الصلاة جلسا ليأكلا وكان قد أزف المساء !

وانتهى أنطونيوس من رغيفه بينما كان بولا لا يزال يأكل رغيفه ببطء ، وظلّ أنطونيوس ينتظره ... فلما فَرَغَ من أكله ، بادره أنطونيوس: «أيها الأب الصغير ألا تُريد أن تأكل رغيفاً آخر؟».

فأجابه بولا: «إن شئت أن تأكل أنت رغيفاً آخر شئت أنا أيضاً ، فإذا لم تشأ أنت فأنا أيضاً لا أشاء».

فأجابه أنطونيوس: «لقد أكلتُ كفايتي لأني راهب».

فردّ عليه بولا: «وأنا أيضاً أكلتُ كفايتي لأني أريد أن أصير راهباً».

وبعد هذا انتصب أنطونيوس وصلّى اثنتي عشرة صلاة ، ولما فرغوا من تلاوة المزامير معاً اثنتي عشرة دفعة ناموا فترة قصيرة ثمّ قاموا وظلّوا يُسبِّحون ويُصلّون حتى الصباح.

فلما رأى أنطونيوس أنّ هذا العجوز استطاع أن يُمارس نفس الحياة التي يحياها هو بنظامها وترتيبها قال له: «إن كنتَ تستطيع أن تحتمل أن تعبر كل يوم بمثل هذا النظام يمكنك أن تمكث معي».

فأجابه بولا: «ولو إنّي لا أعرف شيئاً عما يكون ، ولكني كل ما أتعلمه أستطيع أن أعمله بسهولة».

وبعد عدّة أيام قالَ له أنطونيوس: ها قد صرتَ راهباً.

ثمّ بعد عدّة شهور، عندما رأى أنطونيوس أن نفس هذا العجوز كاملة أمام اللّه وأن بساطته قد فاقت كلّ الحدود وأن النعمة الإلهيّة كانت تؤازره، بنى له قلاية على بُعد نحو أربعة أميال قائلاً: «هوذا أنتَ قد صرتَ راهباً وينبغي عليكَ من الآن أن تسكن وحدك حتى تتحنَّك بتجارب الشياطين».

وبعدما سَكَنَ بولا وحده مدّة سنة ، حلّت عليه موهبة الشفاء ، وموهبة إخراج الشياطين.

نَسَكَ القديس أنطونيوس في هذه الصحراء في إحدى مغائر هذا الجبل. وهنا تمّ لقائه بالطوباوي بولس البسيط (بولا).
★ الدرج يوصل بين دير القديس أنطونيوس في أسفل الجبل وكنيسة القديس بولا ومغارة القديس أنطونيوس

وحدَثَ في هذه الأيام أن جاءوا لأنطونيوس بإنسان به روح نجس **غاية في الشراسة**، لأنّه كان **أحد رؤساء الشياطين** ، وكان من الرذالة حيثُ كان فيها يلعن ويجدّف ويجحد السموات.

فلما رآه أنطونيوس قال: «أنا لا أستطيع أن أُبرىء هذا الإنسان لأنّي لم أُعطَ لا القدرة على الإبراء ولا موهبة إخراج مثل هذه الرؤساء المَرَدَة، **لبولا وحدَهُ** أُعطيَت موهبة شفاء هذا الإنسان».

فأخذه أنطونيوس مع الذين معه وتوجّه مسافراً مسافة أربعة أميال إلى بولا قائلاً:

ـ «يا أبا بولا إخرِج الشيطان من هذا الإنسان حتى يعود صحيحاً إلى بيته».

فردَّ عليه بولا : وماذا تعمل أنتَ ؟

فقال له أنطونيوس: «أنا لا أستطيع أن أُخرجُهُ ، ولي عمل آخر أعمله». وترك الرجُل مع بولا ومضى ألى قلاّيتهَ.

فنهضَ بولا وصلّى بقوّة وعطف كثير ، ثم التفتَ إلى الشيطان وقالَ له: «أبي أنطونيوس قال أُخرُجَ من هذا الإنسان» ...

فأجابه الشيطان بشتيمة وتجديف قائلاً: «أنا لَن أخرج ، يا من تأكل الخبز الأبيض» ...

فَخَلَعَ بولا المنطقة التي يرتديها وضربه بها على ظهره وجنبه قائلاً: «أنا أقول لَكَ إنّ أبّا أنطونيوس قال أُخرج منه» ...

فابتدأ الشيطان يلعن ويشتم أبّا أنطونيوس وبولا أيضاً ...

وأخيراً قالَ له بولا: «أُخرج وإلا سأذهب وأقول لسيّدي **يسوع المسيح**. وأنا إذا قلتُ للمسيح فسوفَ تُصيبك مصيبة عظيمة».

ولكنّ الشيطان ظَلَّ يجدّف ويقول: «**لن أخرج**» ...

فغَضبَ الطوباوي بولا جداً على الشيطان وخَرَجَ من قلايته ـ وكان الوقت ظهراً والصيف في هذه الساعة في مصرَ كأتون بابل ـ ووقف على صخرة وصلّى وتكلّم قائلاً:

«أُنظر يا يسوع المسيح يا مَن صُلبت على يدي بيلاطس البنطي، أنا لن أنزل من على هذه الصخرة ولن آكل ولن أشرب حتى أموت إذا لم تُخرج هذا الروح النجس المارد من هذا الإنسان وتخلِّصه منه».

وبينما الكلمات لا تزال على شفتيّ بولا، صرَخَ الشيطان كما من عظَم ألم أصابه وقال: «وحياة هركيولس الذي يحكمني، وحياة هركيولس، أنا مُرغَم بالقوّة لأن **بساطة بولا** تعتسفني وتطاردني ـ إلى أين أذهب !!». فقال له بولا: «إلى أعماق الجحيم».

فخَرَجَ الشيطان للوقت من الرجل وصارت هيئة الشيطان كتنين ضخم سبعين ذراعاً أو يزيد، وأخذ يتلوّى حتى غطَس في البحر الأحمر. فتمّ القول إنّ **«الإيمان ينقل الجبال»**. وظفر بولا بالشيطان، بولا العجوز المدعو من كافة الأخوة بالبسيط!

منظر آخر من الجبل إلى كنيسة القديس بولس البسيط (بولا).
حيث وقفَ وصلّى صلاته الحارّة والمتواضعة المليئة بالثقة، وكانت له دالة كبيرة في صلاته مع الربّ يسوع المسيح، ليخرج بإيمانه الثابت والغير المتزعزع رئيس الشياطين هذا.

* حياة بولا الرجل العجوز مُبكِّتة جداً يا إخوة ...

* مبكتة للرجال الذين حينما تصدمهم الدنيا يرتدّون إلى خَلف. فبولا فُجعَ في خيانة زوجته؛ فلَم يَثُر ولم يُهدّد ولم ينتقم ولم ييأس، بل سَخِرَ من هذه الكارثة ووطأها بقدميه وجعلها منطلقاً جديداً لحياة أسمى ... فاستعاض عن الزوجة الخائنة بملكوت اللّه !!

* مُبكِّتة جداً للشباب الذين تُقعدهم خشونة الطريق عن السعي المقدّس. فبولا جازَ أشقّ الإختبارات وسَخِرَ من كل العراقيل التي وُضعَت في طريقه لأنه صمّم أن يُخَلِّصَ نفسه فلم يحسب حساب الأتعاب ...

أما الشباب اليوم فيسألون عن الطريق السهل، ويفضّلون الكلام الناعم، ويميلون إلى تأمين الحياة المريحة، ويجرون وراء المشجعات، ولو كانت على حساب الرجولة ...

* مُبكِّتة جداً للرهبان الذين استوطنوا الأسوار، وألفوا الطعام المطهي، والثياب الناعمة، والنوم المريح، وقَصْر الصلوات على الساعات، وتتميمها بشكل سريع وكأنّها وظيفة يجب الإنتهاء منها بأسرع ما يمكن، وانتظار فرج الوظائف، وتسلية الوحدة بالفُسَح والزيارات ...

فبولا عاشَ منفرداً بعد شهور قليلة من رهبنته وعلى بُعد أربعة أميال من مُرشده ... صائماً دائماً، مُطيعاً لأبيه إلى أقصى حدّ ... وهنا تمّ القول المشهور "إبن الطاعة تحل عليه البَرَكة".

* تعجّبوا يا إخوة على هذا الرجل العجوز الذي:
اكتسَبَ ثقة القديس أنطونيوس بعد ثلاثة أيام فقط !!
واكتسب استحقاق الرهبنة بعد عدّة أيام قليلة ...
واكتسب حقّ الوحدة بعد عدة شهور ...
واكتسب رضى المسيح بعد سنة فحلّت عليه موهبة النعمة وفعلها ...

* ثمّ تعجبوا كيفَ استطاع هذا الطائع النشيط أن يصرع رئيساً للشياطين ويدحره ويرغمه على الخروج من جِبلة اللّه بدالة صلاته مع المسيح.

الرُكَب المنحنية

راح نحّات ـ بمطرقته وإزميله ـ يحوّل قطعة من الحجر الأصمّ إلى تمثال رائع جميل، فمرّ به واعظ وتفرّس فيما يعمل ثمّ تنهّد وقال **«لو كان لي مثل هاته الطرقات الفعّالة على القلوب الصخريّة»** فأجابه النحّات **«ولَمَ لا يا سيّد يمكنك ذلك، لو جاهدت مثلي راكعاً على ركبتيك».**

قمّة العطاء

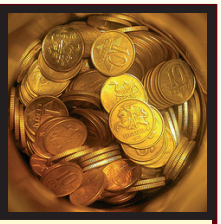

حدَثَ في إحدى كنائس الغرب أن جاء راعٍ آخر إلى الكنيسة ليجمع تبرعات لكنيسته، وبعد نهاية الخدمة طافَ الشّماس بقبعة الزائر على العابدين واحداً بعد الآخر، وأخيراً عادَ بها إلى صاحبها. وكم كانت دهشته حينما لم يجد بها **مليماً واحداً**، فوقف في تأثّر **وَقَلَبَهَا** أمام الجميع حتى رأى كلُّ واحد أنّه ليس بها شيء، ثمّ وضعها على رأسه في هدوء وهو يقول:

«إني أشكر اللّه يا إخوتي أنّها عادت إليَّ سالمة؟».

حوار مع ذئب

سأل شاب كاهناً : لماذا أهرب من الحوار مع الفكر الخاطىء أليس هذا نوع من الضعف؟

أجابه الكاهن: كثيراً ما يكون الهروب إحدى علامات القوّة. فمن يهرب من الفكر له جاذبيته يكون قوياً. هذا والحوار مع الشرّ لا يعرف المنطق ، كما حدث في الحوار بين حواء والحيّة. لنهرب من الحوار مع الشرّ ، لأنّه يشبه حوار الحمل الوديع مع الذئب المفترس.

قيلَ أنّ ذئباً جائعاً جداً وقف عند مجرى ماء من أعلى التلّ وتطلّع لعله يجد فريسة يلتهمها. رأى أسفل التلّ حَمَلاً يشرب من المجرى. عندئذ تطلّع من كل جانب فلم يجد راعيَ الخراف ولا الكلب الحارس لها.

رفع الذئب رأسه وبدأ يفكّر ، إذ يعلم أنّ سمعته سيئة للغاية ، أنه محبٌ للإفتراس ، يأكل الخراف الوديعة التي لا ذنب لها. حاولَ أن يبرّر الذئب نفسه فتطلّع إلى أسفل وقال للحمل: «إنّك حمل صغير ، لكنك تسلك بلا لياقة».

سأله الحمل: "لماذا تتهمني بهذا؟"

قال الذئب: "لأنّك تشرب من المجرى ، وها أنت تعكّره، أما تعلم أنني أشرب منه؟!"

علّق الحمل على ذلك: "أيها الأخ ذئب. أنت تشرب من المجرى من أعلى، وأنا أشرب من أسفل فكيف يمكنني أن أعكّر الماء النازل من عندك نحوي".

كان الحمل على حقّ. صمتَ الذئب قليلاً ثم قال له:

ـ لقد سمعتُ من مصدر موثوق به أنّك تكلمت عني حديثاً رديئاً.

ـ كيف أتكلم عنك برديء أو صالح وأنا لم أرك من قبل ؟

ـ إذن لابد وأن يكون أخوك هو الذي تكلّم ضدّي.

ـ أيها الأخ ذئب ، ليس لي أخ ولا أخت.

ـ إن كان ليس لك أخ ولا أخت فحتماً لك أب يشبهك. هو الذي تكلّم ضدّي. لهذا فإنني أنتقم منه فيك أنت ابنه.

قبل أن يفتح الحمل المسكين فمه هجم عليه الذئب وافترسه.

حقّاً لقد كانت كل إجابات الحمل تبرّره ، لكن كيف يتبرر أمام ذئبٍ لا يعرف إلاّ الإفتراس. الحوار مع الذئب باطل وغير مُجدٍ.

ولهذا يقول الشاعر :

ساقت الأقدام يوماً حملاً ... قرب نهرٍ ينثني بين التلال

فرآه الذئب فاستسمنه ... فلحوم الضان أشهى ما ينال

قال : ما عذرك إذ تشتمني ... منذ عامٍ دون حرب أو قتال

قال : ياسرحان عذري واضحٌ ... عمري الماضي شهورٌ وليال

قال : إن أنكرت شتمي جاحداً ... فأبوك خصمي لا مُحال

وإذ كنت اليتيم المبتلى ... فذنوب الجد تسري في العيال

قال : إن أنكرت شتمي جاحداً ... كيف في تعكيرك الماء الزلال

قال : ياسرحان مائي قادمٌ ... من أعالي الأرض من فوق التلال

أنت فوق التل في الأعلى فهل ... تصعد الأمواه في أعلى الجبال

أعطيك جواباً مقنعاً ... من جمال الثغر يستحلى المقال

قال لقمان لابنه

«يا بني إنه من الكلام ما هو أشدّ من الحجر ، وأنفذ من وخز الإبر ، وأمرّ من الصبرّ ، وأحرّ من الجمرّ ، وأن القلوب مزارع ، فازرع فيها طيب الكلام» ثم قال:

واحفظ لسانك واحترز من لفظه

فالمرء يسلَم باللسان ويعطب

وزِن الكلام إذا نطقتَ ولا تكن

ثرثارة في كل ناد تخطب

غفران الله للخطاة

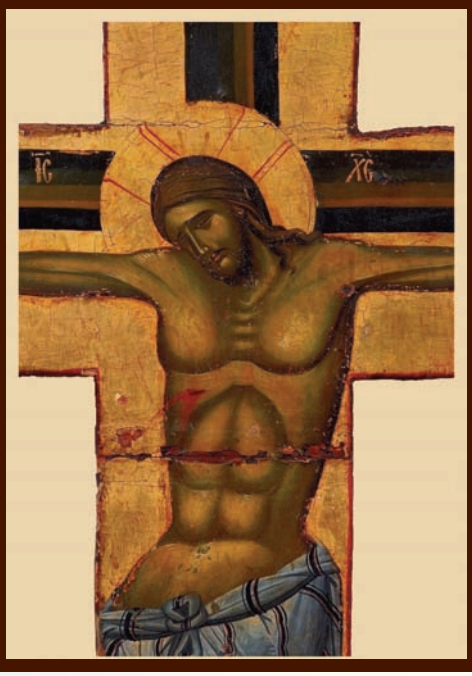

للأب أنتوني م. كونياريس كاهن كنيسة الروم الأرثوذكس
في مدينة مينيابوليس - الولايات المتحدة الأمريكيّة

حُبُّه غافرٌ على الدوام

"يا أبتاه، اغفر لهم، لأنّهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لو ٢٣:٣٤).

لم يكُن طلب المسيح على الصليب لأجل نفسه، كما أنّه لم يستدع اثني عشر جيشًا من الملائكة لكي يُخلِّصوه، مع أنّه كان قادرًا على ذلك. ولكنّه بالأحرى فإنّه صلّى لأجل أولئك الذين سمّروه على الصليب: الجنود الرومان، ورؤساء الكهنة والحكّام والجموع المُحتشدة وهي تطلُب موته. كان في مقدرة يسوع أن يفنيهم تمامًا بضربة واحدة، إلاّ أنّه امتدّ عميقًا إلى داخل كيانه ووجوده وقال: "يا ابتاه، اغفر لهم..." أن كثيرين لم يستجيبوا إلى صلاته، ولكن المهم هو أنّه صلى وغفر.

فقط في حالة إدراكنا لما تفعله الخطيّة حقًا، فإنّنا نكون مستعدّين وجديرين ومستحقّين للغفران. إنّ جسد يسوع المكسور على الصليب ويديه المجروحتين تُرينا ماذا تكون الخطيّة، في معناها وفي مبناها. الخطيّة دفعت المسامير في يديه وشقّت جسده، وهذا بالضبط هو ما يهز مشاعرنا وأحاسيسنا ويدفعنا إلى أن نصرُخ: "اللهم ارحمني أنا الخاطئ!" (لو ١٨:١٣)، وعندئذ فقط يقتحم المسيح دواخلنا ليُطمئنّا ويؤكِد لنا أنّ خطيئتنا لا يُمكنها أن تمنعه من حبّنا.

لا توعُّد ولا تجديف ولا لعن:

إنّه من المتوقّع أن تُسمع من أفواه المصلوبين صرخات عالية. فالجو والهواء المحيط بهم يكون دائمًا كئيبًا وعاصفًا بكلمات التجديف واللعن التي ينطق بها المصلوبون من جرّاء الآلام التي تُحوِّلهم إلى مجانين يصرخون بزعيق هستيري وزمجرة وحشرجة وأنين الموت. يقول **سينيكا** إنّ المصلوبين يلعنون يوم ميلادهم، ويُسجِّل **شيشرون** أنّهم كانوا يضطرون أحيانًا إلى قطع ألسنة المحكوم عليهم بالصلب ليتحاشوا أن يسمعوا أصوات تجديفهم ولعناتهم المُرعبة. لا شك أنّ الجند الرومان كانوا يتوقعون صراخًا مثل هذا من يسوع وهو معلّقٌ على الصليب، ولكن لم يكن صراخ يسوع من هذا النوع.

انسكاب الحُب الغافر:

يقول الأسقف فولتون شين

"مثل الأشجار العطريّة التي تغرق الفأس التي تقطعها بطيبها، فإنه قلب يسوع الكبير سكب وهو على شجرة الحب صلاة أكثر منها صراخًا، صلاة حُلوة هادئة وديعة، إنّها صلاة الصفح والغفران.

وفي نفس الوقت الذي تنقلب فيه الشجرة ضدّة وتصير صليبًا، وينقلب الحديد ضدّه ليصير مسامير، وتنقلب الزهور ضدّه لتصير أشواكًا، وينقلب فيه الإنسان ليصير جلادًا صالبًا لإلهه، فإنّ من فم يسوع، ولأوّل مرّة في تاريخ العالم، تنسكب صلاة لأجل الأعداء: "يا أبتاه، اغفر لي لأنّهم لا يعلمون ماذا يفعلون".

ماذا يخرُج عندما تعصُر ليمونة؟ الإجابة واضحة وهي إن ما هو في داخل الشيء هو الذي يخرُج. عندما تعصُرنا وتضغط علينا الحياة، كبشر، أو نُضرب بعُنف من جرّاء تقلُّبات وعواصف الدهر، فإنّ ما في داخلنا هو الذي يفيض، سواء كان غضبًا أو كراهية أو مرارة أو حُبًا أو غُفرانًا أو عطفًا أو شفقة، عندما نكون تحت ضغط، فإنّ ما في داخلنا هو الذي ينسكب ويفيض.

عندما عُصر يسوع بقوّة وبشدّة على الصليب، فإنّ ما انسكب منه كان هو ما في داخله، إنّه: حُب اللّه الغافر "يا أبتاه، اغفِر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون".

في هذه الصلاة الواحدة ينجمع كل حُب اللّه لنا المُعلَن على صفحات الإنجيل، وفي هذه الصلاة الواحدة يتكدّس كل حُب الآب والابن والروح القُدُس.

كلمات أكثر قدسيّة من أي معجزة:

صرخ الجمع المُحتشد حول الصليب وبالمصلوب: "خلّص نفسك، أعطنا آية من السماء، انزل من على الصليب لنرى ونؤمن، دعنا نرى مُعجزة". وأعطاهم المسيح معجزة، معجزة غير مُتوقّعة: "يا ابتاه، اغفر لهم، لأنّهم لا يعلمون ماذا يفعلون".

أليسَ هذا الغفران عملاً إلهيًا أعظم قُدسيّة من أي معجزة، وأعظم قوة من أي علامة من السماء؟

إنّ كلمات يسوع هذه من على الصليب تُبيِّن كم أنّ يسوع مختلفٌ تمامًا عنّا وعن أي شخص عاش على الأرض.

عندما تقابَل سجين ينتظر موت الإعدام مصادفة بهذه الكلمات المكتوبة في العهد الجديد، فإنّه قال إنّه رأى كل معنى المسيحيّة فيها في طرفة عين، وأضاف إنها "**اخترقت قلبه مثل مسمار طوله خمس بوصات**"، ثم إنّ حياته تغيّرت تمامًا بعد ذلك وإلى الأبد.

مَن هم الذين طلب لهم الغفران؟

قصّة:

تحكي قصّة عن حديث للرب يسوع مع تلميذه بطرس بعد قيامته من الأموات يقول له فيها:

"اذهب وابحث عن الشخص الذي بصَقَ في وجهي وقُل له: "إنَّني سامحته".

إذهب وابحث عن الشخص الذي غرس إكليل الشوك الوحشي في جبيني وقُل له: "إنّني أعددتُ له إكليلاً من المجد في ملكوتي إن هو قَبِلَ خلاصي، ولن يكون في هذا الإكليل شوكة واحدة".

"اَذهب وابحث عن الشخص الذي أخذَ القصبة من يدي وضرب بها رأسي ليُعمِّق الشوك في جبيني وقُل له: "إن هو قَبِل فدائي وخلاصي، فإنني سوف أعطيه قضيب مُلك في ملكوتي".

"اذهب وابحث عن الجندي البائس الذي ضرب جنبي بالحربة وقل له: "إنّه يوجد طريقٌ إلى قلبي أقرب من ذلك".

إن كان يسوع قد أشفق على أولئك الذين سمّروه على الصليب، فلا بدّ أنّه سوف يُسبغ رحمته علينا نحن أيضًا، ولكن علينا أن نقول أولاً مثل العشّار: "اللهم ارحمني، أنا الخاطئ" (لو ١٨:١٣). إن اعترفنا أنّ خطايانا كانت هي المسامير التي ثقبت يديه ورجليه، فإنّنا سوف نسمعه يُصلّي للآب لأجلنا: "يا أبتاه، اغفر لهم، لأنّهم لا يعلمون ماذا يفعلون". إنّنا محسوبون من ضمن هؤلاء الذين يُصلّي يسوع لأجلهم.

هذه الكلمات هي لك أنت:

إنّ غفران يسوع على الصليب هو لكل إنسان. يوجد كثيرون يقرأون هذه الكلمات ولكنهم يشعرون أنّه لا يُمكن أن تُغفَر لهم خطاياهم، وكأنّ خطاياهم أعظم من دم يسوع. قد يكون هذا بسبب شيء ما خطأ حدث في حياتهم في الماضي، قد يكون أمس أو الأسبوع الفائت أو السنة الماضية، ثم ينظرون إلى الوراء ويقولون: "**لن توجد لنا فُرصة للغفران بسبب شناعة وبشاعة ما اقترفناه من جُرم**". إنّهم يستنتجون ويُقرّرون أنّ كل ما يناله الذين يؤمنون بكفاية دم يسوع الغافر هو ليس لهم. إنّ مثل هؤلاء أضافوا خطيّة إلى خطاياهم بقولهم هذا.

إنّ مثل هؤلاء وهم يسمعون يسوع يُنادي بالغفران من على الصليب، عليهم ألا يُفكّروا هكذا، ولكن عليهم أن يتأكّدوا أنّ يسوع لا يعبأ بما فعلوه، ولا يهمه مقدار ما أخطأوا به إليه، إنّه يقول لهم: "مغفورة لكم خطاياكم"، حال تقديمكم توبة عن خطاياكم وأعمال جهالاتكم. إنّ كلمات يسوع من على الصليب تعني أنّه يوجد رجاء جديد وشفاء جديد وغفران جديد لكل واحد منّا. إنّ حقيقة أنّ أوّل من يدخُل الملكوت هو لصٌ مذنب تقف حُجّة قويّة للرجاء، ومنارة وهداية لكل خاطئ أثيم.

هل حقًا كانوا لا يعلمون ماذا يفعلون؟

لاحظ من فضلك أنّه بينما كان يسوع يُصلّي صلاة الغفران، نجده يقول شيئًا دقيقًا وخاصًا ومُميّزًا ومحدّدًا عن هؤلاء الذين يقتلونه، إنّه يقول: "لا يعلمون ماذا يفعلون". لقد أشار يسوع في صلاته للآب إلى جهلهم، وهو يُشير بقوله هذا إلى حقيقة أنّ الهيئات والسلطات الدينيّة والحكومة التي تسبّبت في قتله، لم يكن لديهم أيّة فكرة عن شناعة الجريمة التي سوف يقترفونها، وكم هي نكراء وعظيمة. إنّهم علموا أنّ ما يعملونه هو خطأ لأنّ بيلاطُس بيّن لهم عدّة مرات وبوضوح أنّ يسوع لم يصنع شيئًا يستوجب الموت، إلا أنّ أولئك القادة الدينيّين كان ينبغي أن يُحسُّوا بتصريحات المسيح الكبيرة من جهة بُنُوّته للآب، بدلاً من أن يرفُضوها، لأنّه رغم أنّ خطيّتهم كانت عظيمة جدًا، إلا أنّهم لم يكونوا يعلمون أنهم يقتلون في الحقيقة ابن اللّه. لقد وعى ذلك جيّدًا القدّيس بولس الرسول، ولذلك نجده عندما يتكلّم عن قتل يسوع يقول: "لم يعلم أحدٌ من عظماء هذا الدهر، لأن لو عرفوا لما صلبوا ربّ المجد" (١ كو ٢:٨).

علموا ذلك بعد حلول الروح القدُس:

بعد أن علّمهم بطرس يوم الخمسين ووعظهُم أنهم بصلبهم يسوع، إنّما قد عذّبوا وقتلوا رب المجد، فإنّهم نُخسوا في قلوبهم، وسألوا بطرس والرسل: "ماذا نصنع؟" أمّا بطرس فقال لهم: "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فتقبلوا عطيّة الروح القُدُس" (أع ٢:٣٧ و٣٨).

والآن وأخيرًا غُفرَت لهم خطاياهم، لأنّهم تحقّقوا الآن وعرفوا ما عملوه عندما أقدموا على صلب المسيح. إنّ صلاة يسوع لأجلهم قد استُجيبَت، وقبلوا الغفران الذي منحه المسيح لهم من على الصليب.

يقول **القديس يوحنا ذهبي الفم**: "إنّ المسيح يغفر لنا، بشرط أن نكون راغبين في ذلك". يجب علينا أن نقبل الغفران الذي يمنحه لنا اللّه.

نالوا الغفران:

إنّ نوال الغُفران الذي قدّمه يسوع ليصبح في مُتناوَل اليد بعد حلول الروح القُدُس قد امتدّ ليشمل الذين صلبوه الذين تابوا واعترفوا بخطاياهم.

هل قبلتَ أنتَ الغفران الذي منحه لك يسوع من على الصليب؟ وهل توجد مناسبة أفضل من **الصوم الأربعيني المقدّس** لتفحص فيه ضميرك لتتوب وتنال الغفران الذي قدّمه لك يسوع بآلام وصراخ شديد من فوق الصليب؟ أيُّ وقت يكون أفضل من ذلك؟ هل تُهمله وتؤجله طويلاً حتى يضيع منك وتَفوت الفرصة؟ هل تنتظر إلى أن تتعمّق الخلافات التي تُؤرق زواجَك وعلاقتك مع امرأتك حتى تؤدِّي إلى طلاق لا رجعة فيه؟ أَم تظل تؤجِّل إلى أن تزداد خطيئتك تقيُّحًا ووجعًا وإيلامًا تفوق قوّته تأثير المهدئات والمسكنات والمنوِّمات التي تتعاطاها في محاولتكَ لأن تُسكِّن ضميرك؟

"يا أبتاه، اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون".

إنّنا قد نؤمن بمغفرة الخطايا، ولكن علينا ألاّ يبقى إيماننا كحقيقة لاهوتيّةَ نتلوها في قانون الإيمان فحسب، ولكن علينا أن نقبلها كنعمة وعطيّة شخصية لنا لا رجعة فيها.

فرقٌ كبير أن أقول: "إنّني أومن بمغفرة الخطايا"، وبين أن أقول: "إنّني أومن أنّه قد غفر لي خَطاياي". ما أروعها لحظة وما أجمله وقتًا، إنّها لَحظات ينعكس فيها ضوء التجلّي.

قصّة:

يحكي جون كيللينجر عن أب عاد بعربته إلى الخلف دون أن ينتبه لوجود ابنه ذي السنتين، فدهمه ودهسه، فمات الابن الوحيد للتو. ظلّ هذا الأب لشهور طويلة في حالة ذهول وبلا نوم حتى قرُب من الجنون، امتنع فيها عن الأكل، وترك العمل. وأخيرًا، وفي خدمة الجمعة العظيمة، سمع الأب عظة تتحدّث عن كلمات يسوع: "يا أبتاه، اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون". كانت هذه الكلمات هي بالضبط ما يحتاج الأب إلى سماعه. أخذ الأب يبكي بدون انضباط وقد غمر نفسه سلام اللّه، وكان يقول: "إن كان اللّه قدر أن يغفر للذين قتلوا ابنه، فلا بدّ أنّه يقدر أن يغفر لي أنا أيضًا، أنا الذي قتلتُ ابني".

قصّة: الحُب المصلوب بسبب خطيّتي

تحكي قصّة مُؤثّرة للغاية عن رئيس مُقاطعة في الهند خان زوجته. ومع مرور الأيام والسنين كانت خطيئته تُزيده عذابًا، إلى أن وجد أنّه لا حلّ ليُهدِّئ صراخ ضميره إلا بأن يعترف لزوجته. استدعى الرجل زوجته في حجرتهما الخاصّة وبدأ في أن يكشف لها عن كل ما حدث من قصّة عار وخيانة مُؤلمة. وقعت كلماته على زوجته الأمينة وقوع الصاعقة، وشحب وجهها بلون الموتى وهي تتهاوى نحو الحائط وتزحف إلى هناك ودموعها الحارّة على خدّيها كما لو كانت قد جُلدت جلدًا. قال الزوج الخائن للتو: "لقد رأيتُ في لحظة معنى الصليب، ورأيتُ الحُب وقد صلبتهُ خطيئتي"، حدث هذا عندما أفاقت زوجتي من الصدّمة وقالت لي إنها لا تزال تُحبُّني، ولن تتركني، بل سوف تُساعدني لأعود مرّة أخرى إلى حياة جديدة طاهرة ونظيفة. لم يعُد هذا الزوج أبدًا إلى حياته السابقة، وقال: "كان ما حدث بالنسبة لي: "حُباً وغُفرانًا قدّمته لي زوجتي".

إنّ ما رأيته على الصليب هو الحُب الذي صلَبتهُ خطيئتي، الحُب الذي صُلبَ لأجل وعن خطيئتي، الحُب الذي وَعَد أن يظل بجواري وأن يقودَني إلى حياة جديدة. إنّه الحب الذي نزل من السماء وصنع كل شيء، بما في ذلك الموت على الصليب من أجل أن يُصعدني ويرفعني إلى السماء.

باب قلب الله مفتوح دائمًا:

إنه الآن وقت مناسب، علينا فيه أن نتوب، نتوب عن خطيئتنا العظيمة، ونصرخ إلى اللّه طالبين الغفران من جراء معاملتنا للإنسان زميلنا بهذا العار.

إنه يوجد الجسر العظيم بين اللّه والإنسان الذي أسّسه المسيح. وأحيانًا لا يكون جسرًا حَسَن المعبر، وأحيانًا بقدر ما يخص بعضنا، فإنّ هذا الجسر يكون غير موجود، وهذا يحدث خاصة عندما نُخطئ. إنّ الخطيئة تخلق مسافة بين الإنسان واللّه، من جرائها نشعر أنّنا بعيدون عن اللّه، ونشعر أنّ اللّه غاضب منّا وأنه يريد معاقبتنا، وينتابنا الشعور بالذنب والإثم، فنجري بعيدًا عن اللّه، ولكن حقيقة الأمر أنّه حتى لو جرينا بعيدًا عن اللّه، فإنّ اللّه لا يجري (بعيدًا) عنّا. إنه يقف بجانبنا حتى في خطيتنا، ويدعونا للعودة إليه.

قصّة:

توجد قصّة فحواها أنه فتاة ضلّت الطريق عن اللّه وعن بيتها، وذهبت إلى نقع الخطية في عمقه، وذات ليلة انتابها اهتياج جامح شديد دفعها للانتحار، ولكن من قَبْل أن تُقدم على هذه الخطوة، فقد قرّرت أن تلقي نظرة أخيرة على المنزل الذي وُلدت فيه وقضت فيه شبابها. ذهبت الفتاة في منتصف الليل إلى بيت أمها الصغير، ووجدَت لدهشتها أنّ الباب الأمام مفتوح على مصراعيه، ومن المفاجأة وخوفًا على حياة أمها العجوز لئلا يصيبها أذى فقد نادتها.

استيقظت الأم للتوِّ وخرجت مسرعة وهي تقول: "من زمان طويل يا حبيبتي **جاني** منذ أن تركت المنزل ظلّت صلاتي مستمرّة دائمًا في قلبي لأجلك: "يا رب ردها إلَى منزلها"، وقلتُ في نفسي: متى جاءت نهارًا أو ليلاً فإنّني أريدنا أن ترى بابًا مفتوحًا باستمرار لتعرف مقدار الترحيب بها". وقعت الفتاة بين ذراعي الحب والغفران.

إنّ باب قلب المسيح مفتوح دائمًا ليقبلنا إذا ما عُدنا إليه. إنه أعظم بان للجسور. يمكنه عمل جسرٍ يغطي المسافة الشاسعة بين كل خاطىء واللّه إن كان يتوب عن خطاياه ويقبل غفرانه. إنه يقيم جسرًا بين الفراغ الداخلي ومحبة اللّه، وبين هوة عزلة الإنسان مع حضور اللّه، إنه يقيم جسرًا فوق الفجوة الأليمة الناتجة عن الخطية والإثم واليأس مع إعطاء سلام اللّه وفرحه. إنه يسوع الذي يمكنه أن يكون باني الجسرَ لكَ!

قصّة:

قامت فتاة صغيرة غير معتادة على السفر برحلة بالقطار مع والدتها داخل الوطن، وعندما كانت تطل من النافذة، فقد كانت تُبصر الأنهار والبحار إلى الأمام، ولكن انتابها القلق والاضطراب، كيف سيقدر القطار أن يعبُر هذه الأهوال من المياه.

عندما اقترب القطار من النهر لأول وهلة، فإنّ الفتاة أبصرت الجسر الذي سوف يعبر عليه ، وتكرّر الأمر مرتين وثلاثة، وأخيرًا انحنت الفتاة إلى الخلف على مقعد القطار وقالت بتنهد شديد يعبِّر عن اطمئنانها وثقتها: "لا بدّ أنه كان يوجد شخص هنا قبلنا وبنى هذه الجسور".

نعم، إنه يسوع كان هنا قبلنا، وقد قام بإقامة جسور لنا على طول الطريق، الجسر بين الخطية والغفران، الجسر بين اليأس والرجاء، الجسر بين الشك والإيمان، الجسر بين الموت والحياة، وهو يتوقّع منّا، نحن تابعيه، أن نكون مُشيِّدي جسور ونحن نَعبُر خلال هذا العالم، نقيم جسور التفاهم والحب بيننا وبين أخينا الإنسان.

التجربة الأخيرة على الصليب:

توجد قصّة جميلة عن التجربة الأخيرة على الصليب، وقد حدثت عندما كان المسيح مُعلّقًا على الصليب. حدث في تلك اللحظة التي كان يُعاني فيها يسوع ويتألّم، اللحظة التي هجر فيها العالمُ مُخلّصه وتركه، وظهر أن الذين قد أتى لفدائهم قد تركوه، أن جاء الشيطان وهمسَ في أُذُن يسوع وقال له: «يا سيِّدي: "**إنّهم لا يستحقُّون هذا الذي تفعله لأجلهم. انزل من على الصليب**"، تقول القصّة إنّ هذه هي اللحظة عينها التي قال فيها يسوع: "يا ابتاه، اغفر لهم، لأنّهم لا يعلمون ماذا يفعلون". وللتو هرب الشيطان مُعترفًا بهزيمته».

أصعب وصيّة:

رُبما يكون أصعب ما قاله المسيح: "أحبُّوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مُبغضيكم، وصلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم" (مت ٥: ٤٤). إنّنا نرى ذاك الذي وضع هذا المعيار النبيل ينفِّذهُ من على الصليب، ويقول: "يا أبتاه، اغفر لهم، لأنّهم لا يعلمون ماذا يفعلون".

ليس من طبيعة الإنسان أن يغفر لأعدائه أو أن يصنع الخير أو يُحسن للذين يضطهدونه، بل وعلى العكس، فإنّ الشيء الطبيعي هو أن يَضْرب بالمثل، عينًا بعين، وسنًا بسن، ولكن روح الإنسان المسيحي هو شيء مُختلف، إنّه فائق للطبيعة، إنّه عمل اللّه في قلب المسيحي.

قصّة:

في تشيكوسلوفاكيا، بينما كان أحد رُعاة الكنائس يخطُب في مظاهرة تتكوّن من نصف مليون مسيحي، شقّ ضابطٌ شاب طريقه إلى المنصّة، وشرح وهو يبكي كيف أنّه كان ضمن الشُرطة الذين ضربوا مجموعة من الطلاّب المسيحيين وقتلوهم من عدّة أسابيع، وقال: "**أنا آسف، أرجو أن تغفروا لي**"، فوضع الراعي ذراعه حول الضابط الباكي، ثم تحدّث بحزم للحشد الكبير عن واجب المسيحي أن يغفر، ثم نادى: "دعونا نُصلّي"، وبصوت نصف مليون شخص قوي أكّدوا إيمانهم المسيحي مُصلّين: "**واغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضًا للمُذنبين إلينا!**".

ليس هو مثالاً مُستحيلاً:

إنّ المسيح الذي صلّى من فوق الصليب لأجل أعدائه، هو الذي يخلق نفس روح الغفران والصفح في أولئك الذين يتبعونه حقًا، وهذا هو ما حدث تمامًا مع القدِّيس إستفانوس أوّل الشهداء الذي صلّى لأجل الذين كانوا يرجمونه، وكان يطلُب من اللّه ألا يُقيم أو يحسب لهم هذه الخطيئة.

حدث مثل هذا عندما كان جنديٌ أمريكيٌ يُعامَل بقسوة من الجنود اليابانيِّين، ولكن حدث أن عاد هذا الأمريكي إلى اليابان ليُبشِّر هناك.

كما حدث أيضًا عندما عاد شابٌ نرويجي إلى ألمانيا ليشترك في أعمال إنسانية لإغاثة المنكوبين بعد الحرب، في الوقت الذي كان النازيُّون من الألمان قد قتلوا كل أسرته أثناء غزوهم للنرويج.

حدث هذا أيضًا في أحد أديرة البنات الذي ضُرب بلا هوادة ولا شفقة أثناء الحرب العالمية الثانية، حيث كَتَبت الراهبات على لوحة المذبح الذي تبقّى من الكاتدرائيّة العظيمة: "يا أبتاه، اغفر لهم...".

عندما يُقيم المسيح ويسكُن الروح القُدُس بقُوّته في القلب البشري، لا يعود الغفران أو محبّة الأعداء مثالاً مُستحيلاً، بل خبرة حقيقية واقعيّة.

قصّة: يُبارك أعداءه بما تبقى من أعضائه الدامية:

وهذه قصّة غفران عجيبة قام بها قس إسباني بسيط، استطاع أن يؤدِّيها بعد أن أسكن في قلبه، المسيح نفسه، الذي سامحنا على الصليب.

حدث في ربيع ١٩٣١م عندما كان الشيوعيُّون يزحفون على اسبانيا ويحرقون كنائسها ومستشفياتها وأديرتها، أن اقتيد كاهن عجوز له من العمر ٨٦ عامًا ويداه مُقيّدتان لتنفيذ حُكم الإعدام فيه، بإلقائه في نار مُشتعلة، وعندما سُئل عمّا يريده قبل أن يُعدَم، فإنّه ترجّاهم أن يفكّوا قيوده لكي يستطيع أن يباركهم كوداع لهم. ظنّ واحدٌ من الحُرّاس أنّ الكاهن يهذي، فأخذ فأسًا وضربَ، ليست القيود فقط التي كانت تُقيِّد الكاهن، بل وأيضًا يديه، عندئذ رفع الكاهن يديه المُقطّعة والمُشوّهة بقدر ما استطاع، وحرّك ما تبقّى منها وهو يتلوّى من الألم على رؤوس الجلادين بوضع بَرَكة وهو يقول لهم: "إنّني أغفر لكُم، وهذه هي صلاتي ودعائي الأخير أن يغفر لكم اللّه ويُباركم". ثم أسلم الروح.

السؤال المطروح:

السؤال المطروح على كل مؤمن: "هل قبلتَ غفران المسيح الذي منحك إيّاه من فوق الصليب؟" يقول شخصٌ ما: "رأيتُ قدرًا هائلاً من الغضب في زماني، ولم أكُن أرتاع أو أفزع من الجحيم، مهما تحدّث الناس أو تخيّلوا شدّة لهيبه. ولكنّني سوف أحدّثك عمّا كان يُرعبني، إنّني أرتاع من محبّة اللّه، إنّني ارتاع من أن أنظُر في عين المسيح المصلوب في اليوم الأخير وأرى أنّني قد أحزنته ولم أقبل حبّه الغافر، وأنّ كل ما صنعه على الصليب لأجلي قد أضعتُه عبثًا دون أن أكترث به. هذا كان بالنسبة لي هو الجحيم".

توجَد صلاة منقوشة على لوحة بالقرب من الصليب الموضوع على كاتدرائيّة كوفنتري بإنجلترا والتي قصفتها القنابل تقول:

"**الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد اللّه،**

من أجل الكراهية التي قسّمَت الأمم والشعوب والأجناس عن بعضها، أيُّها الآب، اغفر.

من أجل الرغبات الشهوانيّة للناس والأمَم في حب امتلاك ما ليس لهم، أيُّها الآب، اغفر.

من أجل الجشع والطمع اللذين يستغلان تعب الناس ويُتلفان ويُدمِّران الأرض، أيّها الآب، اغفر.

من أجل الحسد من رفاهية وسعادة الآخرين، أيُّها الاب، اغفر.

من أجل عدم اكتراثنا لورطة الذين ليس لهم مأوى وللاجئين، أيها الآب، اغفر.

من أجل الشهوة التي تستغل أجساد الناس لأغراض خسيسة ودنيئة، أيها الآب، اغفر.

من أجل الكبرياء التي تقودنا إلى الثقة في أنفسنا وليس في اللّه، أيّها الآب، اغفر.

"كونوا لُطفاء بعضُكم نحو بعض، شفوقين مُتسامحين، كما سامحكُم الله أيضًا في المسيح" (أف ٤:٣٢).

قصّة: حدثت هذه القصّة في كينيا عام ١٩٥٨م، في أحد المؤتمرات المسيحيّة وأمام أحد عشر ألف شخص، قال أحد مُقاتلي **الماو ماو الأشدّاء**: "كنتُ واحدًا ممّن قادوا مجموعة من المُقاتلين لمهاجمة أسرة مسيحيّة بالليل، لكن لدهشتي أن ربّ الأسرة قد أحبّنا، وقال إنّه لا يخاف إطلاقًا أن يموت، لأنّه في الحال سيكون مع المسيح، ثم بدأ يستعطفنا ليس لأجل حياته هو لكن لأجل حياتنا نحن، وأنّه يجب أن ننتبه ونتوب عن خطايانا ما دامت توجد هناك فُرصة للتوبة، ولكننا قُمنا بقتله، فمات وهو يقول: "يا أبتاه اغفر لهم، من فضلك اغفر لهم، وأعطهم فُرصة ليرجعوا إليك"، ورجعنا إلى الغابة، ولكن وجه ذلك الإنسان ومحبّته لنا لم تُفارقنا أبدًا، وأخيرًا وجدنا يسوعه، "والآن أريد أن أخبر كل إنسان عن يسوع المُخلِّص".

آمن هذا الإنسان الوحشي بالمسيح واعتمد وأصبح مُبشِّرًا.

والبعض سقط على الصخر فلما نبت يبس لأنّه لم تكن له رطوبة

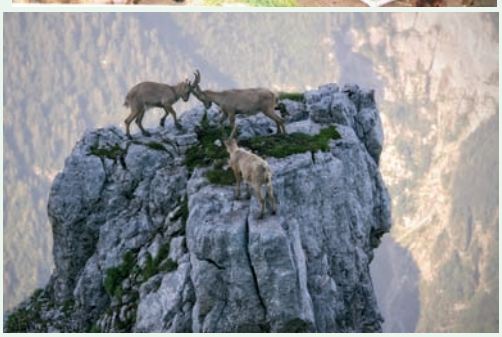

هذا النوع من القلوب حسب تفسير السيّد يسوع المسيح الذي قال: «والذين على الصخر هم الذين متى سمعوا، يقبلون الكلمة بفرح، وهؤلاء ليس لهم أصل فيؤمنون إلى حين وفي وقت التجربة يرتدّون». وأن هذا النوع ليمثّل جماعة السامعين الذين يتكاثرون بوفرة في مواسم الأصوام والأعياد، فيهلّلون ويتحمّسون ويشتعلون غيرة ولكنّهم سرعان ما يضعفون ويفترون ذلك لأنّ إرادتهم مهزومة ضعيفة، وعزيمتهم مهزوزة ركيكة، مثلهم مثل **القدر** الذي يغلي ماؤه بسرعة ثم ما يلبث أن يبرد أيضاً بنفس السرعة، إنها حرارة عارضة طَارئة وحماس وقتي «فيؤمنون إلى حين وفي وقت التجربة يرتدّون»، ومن هنا نرى أن نفس «**الشمس**» التي كانت سبباً في سرعة نمو هذا الزرع، هي نفس «**الشمس**» التي كانت سبباً في سرعة ذبوله وفنائه. **أترون ماذا يشبه هؤلاء الناس؟**

في وادي الكلايد يوجد قطيع من الماشية ليست له قرون، كل ما يأكله هذا القطيع يتحوّل فيه إلى لحم ولبن وصوف، ولكن على قمّة جبال تلك المنطقة نفسها يوجد قطيع آخر من نفس الفصيلة والنوع ولكن لأنّه يعيش في **جو أبرد وأجدب**، فقرونه نامية طويلة، أجساده نحيفة نحيلة، ذلك لأن غذائه الذي يأكله يغذّي القرون فتنمو أما الأجسام فلا نصيب لها من هذا الغذاء، ولذلك كانت هذه القطعان ذات القرون الطويلة تناطح بعضها بها حتى أنّك لا تستمع طيلة النهار إلاّ قرقعة القرون.

إنّه النمو ولكن «**بلا عُمق**» و «**بلا أصل**» فلأنّ **التربة حجريّة والقلوب كالصوّان** لذلك لا نسمع إلاّ «**قرقعة القرون**».

عضو الكنيسة

كُتبَ في مُذكّرات الواعظ الأمريكي **مودي** بأنّ صديقاً له كان يمرّ بجوار حانة ليليّة ما، وقد نظر من زجاج الباب **أحد أعضاء الكنيسة** جالساً **يشرب الخمر ويلعب القمار**، فأخرَجَ ورقة من جيبه وكتبَ عليها كلمات قليلة ومهمّة، ثم التفت فأبصرَ غُلاماً صغيراً فناداه وقال له ألا تريد أن تربح بعض النقود يا بني؟ خُذ هذه الورقة الصغيرة وسلّمها لهذا الرجل الذي يلعب الورق مع الرجال الثلاثة في هذا الركن الأمامي ... أخذَ الولد البطاقة

وسلّمها **لعضو الكنيسة** وكان المكتوب عليها «**وتكونون لي شهوداً**»، وما أن قرأها الرجل حتى وَثَبَ على قدميه واندفع إلى خارج يسأل الولد عمن أعطاه هذه الورقة. لكن الرَجُل كان قد اختفى، على أنّ كلماته هذه لم تختَفِ من ذاكرة «**عضو الكنيسة**» بل ظلّت في ذهنه ولم تختَفِ. إنّها الأحجار ـ أحجار العثرة ـ التي كثيراً ما تعطّل نمو الكلمة ـ **وويلٌ من العثرات**.

العهد القديم في الكتاب المقدّس (١٤)

تتمة من العدد السابق

عائلة يوسف في مصر

يخبرنا الكتاب المقدّس في قصّة يوسف مع إخوته عن بعض العادات المصريّة إذ كان الكأس له قيمة عظيمة عند فرعون وعظمائه (تك٤٤:٢) ، ويخبرنا أن مهنة رعي المواشي لم تكن محبّبة لدى المصريين ، لذلك طَلَبَ فرعون من يوسف أن يجعل إخوته رؤساء على مواشي فرعون (تك٤٣:٣٢) ؛ (٤٧:٦) ، وحينما أتى يوسف بأبيه وإخوته إلى مصرَ استقرّت العائلة في أرض جاسان في الشمال الشرقي من دلتا النيل (صفط الحنة عند فاقوس)، وتنتشر فيها مناطق المستنقعات فوجدت قبيلة يعقوب هؤلاء الرعاة **المتَبدّين** مستقراً لهم هناك ، ولم يكن الحُكم الفرعوني قد إمتَدَّ إلى تنظيم تلك الأماكن ، حيثُ كانت تحكم مصرَ في زمن يوسف أسرة الهكسوس الساميين وهي كلمة مصريّة معناها الحكّام الأجانب وأطلق عليهم المصريون الرعاة ، فقد كانوا رعاة وحكموا مصر الأسرة الخامسة عشرة (١٧٨٠–١٥٥٠ ق.م.) . لذلك كانت هناك صلة قرابة بينهم مع عائلة يوسف ، ومن ذلك يتضح كيفَ سمَحَ فرعون للعائلة أن تستقر في منطقة جاسان ، بالقرب من البلاط الملكي ، أما جاسان فكانت أرضاً خصبة مما جعلهم يتحوّلون بين الحين والآخر إلى الزراعة ، وصارت القبيلة بعد عدّة قرون أمّة عظيمة (تك٤٧:٢٧)، وكان يوسف يُقيم في البلاط الملكي وقد زارَ أباه في أرض جاسان ثلاث مرّات ، كانت كلّ واحدة منها لها أهميّة خاصة ففي الأولى دعا يعقوب يوسف واستحلفه بعهد أن يدفنه في مقبرة آبائه ، والثانية عندما إشتدّ المرض بيعقوب وفيها أعلن يعقوب اعتبار أفرايم ومنسّى ضمن أولاده وباركهما ، وبذلك أمكن أن يكون ليوسف نصيباً مُضاعفاً في أرض كنعان ، والمرّة الثالثة والأخيرة حضَرَ يوسف عند وداع أبيه في ساعاته الأخيرة وفيها دعا يعقوب جميع بنيه وتشدّد وتنبأ عن مستقبل أبنائه كرؤساء للأسباط (تك٤٩:٤٧).

عظام يوسف:

بعد حياة مزدحمة بالأحداث مليئة بالإيمان زاهرة في الغربة بدأت تَميل الشمس نحو الغروب ، وقد بلغ يوسف مائة وعشر سنوات فمات يوسف في مصر ، وحسب عادة المصريين في تحنيط أجساد الملوك والعظماء ، فاجتمع الكهنة والأطباء المتازون في البلاط والمنوط إليهم تحنيط جثّة المتوفى ، ولم يكن مسموحاً للعبرانيين أن يحنّطوا الجثمان ، إذ نهت الشريعة صراحة عن لمس الميت ، ويكون من مسّها نجساً ، ولذا كانت ديانة المصريين رجساً ، عند بني إسرائيل (عد٥:١) ، أما يوسف وقد كان عظيماً في القصر فقد قامَ المصريون بتحنيط جثمانه ، وبذلك يكون قد حُنِّطَ من بني إسرائيل جثمان كل من يوسف وأبيه يعقوب لأنهما ماتا في مصر . ودُفنَ يعقوب في حبرون ، أما يوسف وقد وُضعَ في تابوت كعادة المصريين ، ودُفنَ في مصر ، ثم حمله بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر وظلّت عظام يوسف معهم طوال تجوالهم في البريّة ، وانتهت بأن دفنوها في شكيم (خر١٣:٩ ؛ يش٢٤:٣٢) ، فقد استحلف يوسف إخوته قبل موته أن تُنقَل عظامه إلى أرض الموعد (عب١١:٢٢)، وبذلك يتلألأ الإيمان الوطيد بامتلاك أرض الموعد.

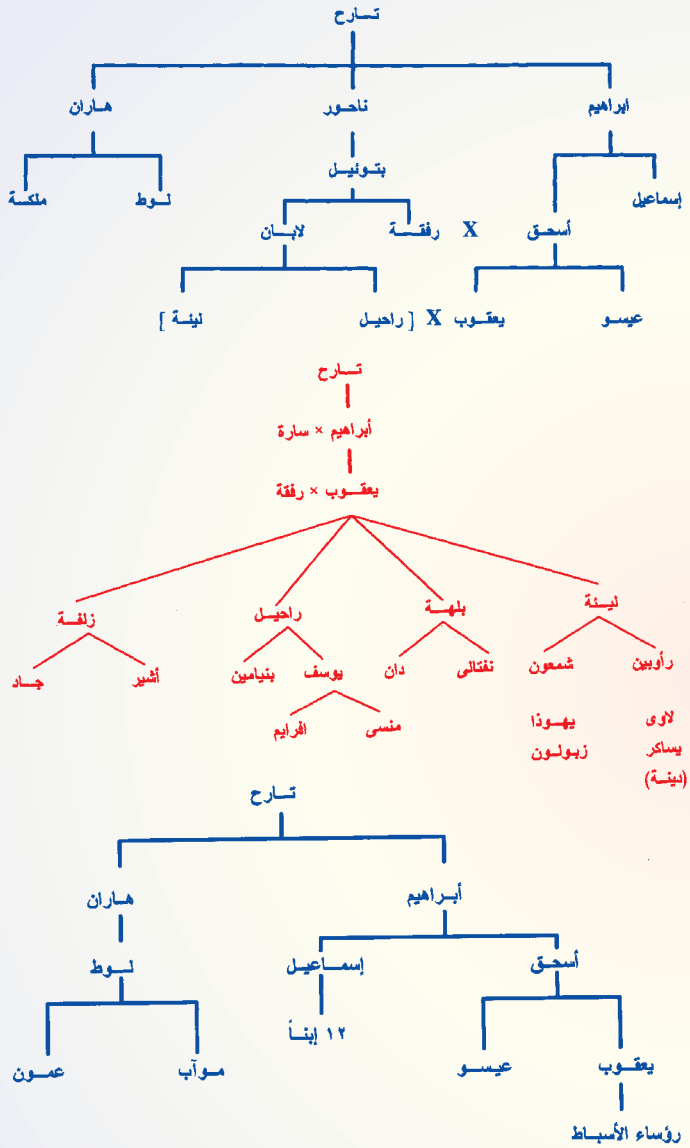

إذا تتبعنا الأنساب في الجدول أعلاه نجد النقاء قد حُفظَ في عائلة تارح ، فإبراهيم يتزوّج سارة أخته من أُمِّه ، واسحق يَتزوّج رفقة إبنة عمه بتوئيل ، ويعقوب يتزوّج ليئة وراحيل إبنتا خاله لابان ، أما الجاريتان زلفة وبلهة فيُنسَب نسلهما إلى يعقوب وزوجتيه ، كما نلاحظ أن دائرة الضوء بعد أن كانت تتسلّط في مركزها على شخص واحد هو إبراهيم ، أخذت تزداد إتساعاً لتشمل شعب إسرائيل من خلال أبناء يعقوب الإثنا عشر الذين أصبحوا رؤساء الأسباط.

بدراسة الأنساب المنحدرة من تارَح نلاحظ في هذا الجدول عدّة ملاحظات، فقد كان نسل لوط موآب وعمون ويُرفَض هذا النسل لأنّه كان سفّاحاً (تك١٩:٣٧،٣٨) ، كذلك يُرفض نسل إسماعيل فأمه هاجر المصريّة (تك١٦:١)، وكذلك يُرفض نسل عيسو لأنّه تزوّج

بأجنبيّات ، (تك٢٦:٣٤ ، تك٣٦) ، ويصبح نسل إبراهيم نقيّاً من خلال إسحق ويعقوب (تك٣٥:٢٦ ؛ أع٧:٨) ، فالإسرائيليون أحفاد رؤساء الأسباط أبناء يعقوب الإثني عشر ، وقد انحدروا من أُسرة خاصّة ومتميّزة حيثُ نَمَت العشيرة القبليّة من عائلة واحدة كانَ رأسها هو إبراهيم ، لكن العشيرة إتّسعَت بدخول التابعين والعبيد لها (تك١٤:١٤)، وصاروا يعتبرون أنفسهم هم أيضاً أبناء لرئيس العشيرة بالرغم أنهم ليسوا من نسله ، فمن سلسلة الأنساب في (تك١٠–١١) ، تتضح تلك الأسماء مثل مصرايم وكوش وهما أبناء حام ، وليسوا من أبناء سام أصل إبراهيم ، ونجد أن دخول قطورة كزوجة جديدة لإبراهيم لم يكن من المناسب وضعها بين الأنساب التي لإبراهيم ، لكن كاتب السفر (تك٢٥:١–٦) نظراً للروابط الوثيقة يشير إلى جماعة عربيّة أخرى تنتمي إلى نفس الدم الذي ينتمي إليه إسرائيل. وأولاد قطورة أصبحوا أسلافاً لعدد من الشعوب التي تسكن شمال بلاد العرب من الحويلة إلى شور حيثُ احتلّت القبائل سيناء وشمال غرب بلاد العرب ، لذلك نجد أن إبراهيم صَرَفَ أبناء السراري بعد أن أعطاهم هدايا ، فانصرفوا شرقاً إلى أرض المشرق وهو بعد حيٌ ،حتى يظل إسحق الوريث الأوحد لأبيه.

ونلاحظ في الجدول السابق العلاقة بين إسرائيل وجيرانه من الشعوب فبنو عمون وبنو موآب أبناء عمومة من الدرجة الثانية ، بينما الأدوميون (أبناء عيسو) إخوة مباشرون لإسرائيل (يعقوب) ، والإسماعيليون الذين يسكنون النقب جنوبي اليهوديّة يُعَدّون أبناء عم للإسرائيليين.

وبدراسة الجداول الثلاث السابقة تتضح نقاوة نسب إسرائيل وعدم إختلاطه بغيره من الأجناس الأخرى ، ذلك النسب المبارك الذي تجسّد منه المسيح (متى١:١–١٧).

السرّ الروحي لكلمة إسرائيل

يعقوبوعيسو : فلما كَمُلَت أيام رفقة زوجة إسحق لتلد إذا في بطنها توأمان. فخرَج الأوّل أحمرَ ، كلّه كفروة شَعر ، فدعوا اسمه «عيسو». وبعد ذلك خَرَج أخوهُ ويَدهُ قابضة بعَقِبِ عيسو ، فدُعي اسمه يعقوب». (تكوين ٢٥:٢٤–٢٦).

يعقوب يصارع مع الله : ثمّ قامَ في تلك اللّيلة وأخذَ إمرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وعَبَرَ مخاضة يبوق. أخَذَهم وأجازهم الوادي ، وأجازَ ما كان له. فبقي يعقوب وحده ، وصارعه إنسانٌ حتى طلوع الفجر. ولمّا رأى أنّه لا يقدرُ عليه، ضَرَبَ حُقَّ فَخذه ، فانخلعَ حَقُّ فخذ يعقوب في مصارَعته معَهُ. وقال: «أطلقني، لأنَّه قد طَلَعَ الفجرُ». فقال: «لا أُطلقُكَ إن لم تباركني». فقال له: «ما اسمك؟» فقال: «يَعقوبُ». فقال: «لا يُدعى اسمُك في ما بعد يعقوبَ بل إسرائيلَ ، لأنّك جَاهدتَ مع اللّه والناس وقدرت». وسأل يعقوبَ وقال: «أخبرني بإسمك». فقال: «لماذا تسأل عن إسمي؟». وباركه هناك.

فدعا يعقوبَ اسم المكان «فنيئيل» قائلاً «لأني نظرتُ اللّه وجهاً لوجهٍ ، ونُجِّيتْ نفسي». (تكوين ٣٢:٢٣–٣٠)

من خلال هذه المقدمة نلاحظ ما يلي:

١) عيسو تعني أدوم (אדום) أي أحمر (تك٣٦:١)، تعبّر عن الشهوات الجسديّة ، فقد تزوّج ثلاثَ نساء ، أفكاره في الأرضيّات والماديّات. إذ باع باكوريته بإستهتار مقابل وجبةٍ من العدس الأحمر ومنه أتت كلمة أدوم (تك٢٥:٢٩–٣٤).

٢) كلمة يعقوب توأم شقيقه عيسو مأخوذةٌ من كلمة عَقب ، لأنه وُلدَ ويده قابضة بعَقب عيسو . فهو يميل للشهوات والإمتلاك الأرضي ،فقد إستغلّ بساطة عيسو آخذاً منه البكوريّة مقابل وجبة من العدس، ثمّ **إحتالَ** يعقوب على إسحق أبيه مُدّعياً أنّه عيسو وأنّه أتى بالطعام بعد أن إصطاده آخذاً منه البركة الأولى **بمَكر**، كذلك بعد هربه من وجه عيسو، إلى خاله لابان في **فدّان آرام** ، عمل سبع سنوات ليتزوّج راحيل ، لكنّ خاله زوّجه ليئه ، فلم يكتف بإمرأته هذه ، بل عَمل سبعة سنوات أخرى ليتزوّج راحيل الصغرى (هيام الشهوّة). كذلك **خاتَلَ وخادَعَ** خاله لابان بوضعه القضبان الخضراء في الماء ليربح التيوس والماعز (أنظر تك ٣٠:٣٧–٤٣).

٣) بعد هَرَب يعقوب مع ممتلكاته من وجه خاله لابان إلى أرض كنعان ، في الطريق إلتقى مع ملاك اللّه ، وبعد جهاد كبير وصراع مُتعب ، تمّ تحويل إسمه ، من يعقوب إلى **إسرائيل**.

معنى كلمة إسرائيل «اللّه يُجاهد» ، أو بتفسير آخر (يشرا – إيل) (ישראל) أي مستقيماً إلى اللّه أي الإنتقال بعد الجهاد الروحي الطويل خلال الليل كلّه من السير في الطريق المادي **(يعقوب)** إلى الطريق الروحي أي بإتجاه اللّه، أو نحو اللّه. **(إسرائيل)**.

وهكذا تتلخص دائرة الضوء الأولى والتي تضم كلٌ من إبراهيم وسارة ، إسحق ورفقة، يعقوب وراحيل وليئة. إلى التوجّه الروحي لذلك النسب المبارك الذي تجسّد منه المسيح، لنُدعى نحنُ المسيحيين **بإسرائيل الجديد**. المبني على الأساس الروحي ، فكما أن آدم الأول ترابي، هكذا المسيح آدم الثاني سماوي، ومن هنا إختار اللّه إسم إسرائيل من بداية أسماء هذه العائلة ، ليكون الأسم مطابقاً لروحانيّة هذه العائلة المباركة . **إشتقت كلمة إسرائيل من بداية الكلمات التالية :**

אברהם שרה	إبراهيم وسارة	إ – من إبراهيم
יצחק רפקה	إسحق ورفقة	س – من سارة
יעקב לאה רחל	يعقوب ليئة،راحيل	ر – من رفقة
ישראל إسرائيل		ا – من إسحق
		ي – من يعقوب
		ل – من ليئة

شرح أيقونة دخول السيّد المسيح إلى الهيكل

ينتمي عيد دخول السيّد إلى الهيكل إلى العهد المسيحي الأوّل، فهو فلسطيني المنشأ، كما هي الحال بالنسبّة للعديد من الأعياد الكنسيّة. وتصف إيجريّا هذا العيد كما يُحتفل به في أورشليم، من خلال زيارتها للأراضي المقدّسة في القرن الرابع، وتتحدّث عن إقامة زيّاح مهيب. وانتقل هذا العيد إلى القسطنطينيّة في القرن السابع.

أوّل مشاهد هذا العيد المصوّر تعود إلى القرن الخامس. بَلَغَ تصوير المشهد ثباته في القرنين التاسع والعاشر وبقي على حاله منذئذ. نرى في بعض الأحيان المسيح الطفل محمولاً. ولكن في أغلبِ الأحيان نرى سمعان الشيخ حاملاً الطفل على ذراعَيه. لا يُصَوَّر المسيح أبداً بأقمطة، بل يرتدي رداءً قصيراً بحيث تظهر قدماه أسفل عاريتَين. في بعض الأحيان يَمنح الطفلُ البركة.

تمّ لقاءالطفل مع الشيخ في الهيكل، أمام المائدة المقدّسة. يبدو على المائدة في بعض الأحيان صليب، كتاب أو رقائق. عن جهتَي المائدة، يقف كلٌّ من سمعان الشيخ والعذراء.

العذراء تمدّ يَديها مغطاة بردائها في حركة عطاء وتقدمة. فهي قدّمت الطفل لتوّها إلى سمعان. أما سمعان فيحمل الطفل على ذراعَيه وقد غطّاهما بردائه علامة إحترام. أما يوسف فيبدو خلف مريم ويحمل في يديه ما يوصي به الناموس: زوجي يمام أو فرخَي حمام، أي تقدمة الأهل الفقراء (لاويين ١٢:٨).

يمثّل اليمامان في يَدَي يوسف الكنيسة الآتية من إسرائيل وتلك الآتية من الأمم، كما يمثّلان أيضاً العهدَين القديم والجديد.

أما حنّة إبنة فنوئيل فتقف أحياناً خلف سمعان.

لقد أُعطيت شخصيّة سمعان «القابل الإله» أهميّة كبرى. فأقواله النبويّة اعتُمدت في صلاة الغروب على مدار السنّة الطقسيّة "الآن تُطلق عبدك أيّها السيّد ..." . أراد البعض أن يرى فيه أحد كهنة الهيكل ،والبعض الآخر أحد معلّمي الشريعة، ابن هليل ووالد جملائيل معلّم بولس الرسول. وهو أحد مترجمي الكتاب المقدّس، أحد السبعين الذي أبقاه اللّه حيّاً طيلة ٣٥٠ عاماً إلى حين ظهور المسيّا.

النصوص الليتورجيّة تُغبّط سمعان كأعظم الأنبياء . قد استأهل الأمور أكثر من موسى، فقد عاين اللّه ليس كما ظهر لموسى متّشحاً بالظلام، بل بحَمله إيّاه على ذراعيه. لقد كَشَفَ سمعان للعالم النور، الصليبَ والقيامةَ (بالعودة إلى نبوءته للعذراء في حديثه لها عن "السيف الذي سيجوز في قلبها"). ما من أمر يُشير في الأيقونة إلى كرامة سمعان الكهنوتيّة. فرأسه غير مُغطّى. المسيح على ذراعيه يجلس وكأنّه على عرش. الأوديّة التاسعة من السحريّة تضع هذه الكلمات على لسان المسيح: « ليس الشيخ يحملني، بل أنا أحمله، لأنّه يطلب مني الغفران»،

أمّا تفاصيل الأيقونة: ليست الأيقونة مُجَرّد عمل فنّيّ، بل هي حضور حسّي للرب فيما بيننا، ومصدر إيحاء وصلاة وتأمّل.

تُجَسِّدَ هذه الأيقونة الماثلة أمامنا حَدَثاً هامّاً في تاريخ الخلاص

، وهو دخول يسوع إلى الهيكل.

تحتفل الكنيسة بهذا العيد في الثاني من شباط من كل عام، وتُطلق عليه أيضاً إسم «اللقاء» أي لقاء يسوع مع شعبه الذي ينتظرُه بشخص سمعان الشيخ وحنّة النبيّة ؛ إنّه لقاء بين العهد القديم والعهد الجديد، ولقاء بين الهيكل الحجري والهيكل البشري.

تتحلّى هذه الأيقونة بقوّة تعبيريّة تنبعث خصوصاً من النظرات.

عن يمين الأيقونة نرى سمعان يحمل الطفل الإلهيّ برقّة وتأنٍّ. في نظراته إحترامٌ كُلّيّ للسيّد فهي نظرة سكون وفَرح مقرون بالأمل.

نظرة الطفل الإلهيّ مُتّجهة نحو مريم العذراء دلالة على أنّها أمّه، أما مريم والدة الطفل الإلهيّ فنظرتها تحمل بعضاً من التسائل وتستشفّ منها بعضاً من الحزن والحيرة.

وراء مريم تقف النبيّة حنّة فيما نظرتها مُتّجهة نحو يوسف. تُشير بإصبعها إلى الطفل وكأنّها تقول ليوسف إن هذا الطفل إله.

عندما نتأمّل في نظرة يوسف يُخالجنا شعورٌ بأنّها نظرة تعجّب لما يُسمَعُ عن الصبيّ.

الطفل يسوع هو المحور الأساس في الأيقونة، يبدو محمولاً على يدي سمعان الشيخ وكأنْ لا ملامح طفولة على مُحَيّاه. بل ملامحُ وجهٍ بالغ في جسد صغير.

نلاحظ ثيابه مُزَيّنةً بخيوط ذهبيّة وحول رأسه هالةٌ نورانيّة يتوسطها صليب دلالة على هدف تجسّده ألا وهو فداء البشريّة.

نظرات الطفل تتّجه نحو مريم ويَدُهُ ممدودة نحوها أيضاً إشارة إلى أنّه سَيَهبها أُمّاً للبشرية وهو معلّق على الصليب حينَ سيقول ليوحنّا ومن خلاله للبشريّة جمعاء، هذه هي أمّك.

تتوسّط مريم العذراء الأيقونة وهي إذ تبدو واقفة أمام الباب ترمز إلى الباب الذي دَخَلَ منه اللّه إلى العالم.

حركة يدها اللطيفة تعبّر عن فعل تقدمة، وترشدنا إلى ابنها مخلّص العالم الذي تقدّمه إلى سمعان.

ترتدي مريم لباساً أزرَقَ دلالة على الطبيعة الإنسانيّة، ويلفّها رداءٌ أُرجوانيّ اللّون رمزاً للطبيعة الإلهيّة المستمدّة من إبنها يسوع.

على لباسها تظهر ثلاث نجوم متلألئة إشارة إلى نقاوة بتوليّتها المستمرّة قبل الولادة وأثنائها وبعدها.

دخول السيد المسيح إلى الهيكل

تدل ملامح وجهها إلى الكآبة ، وكأنّها تشعر بأنّ طفلها سَيُسلَخ عنها عاجلاً أم آجلاً ، وهو ما تنبأ به سمعان الشيخ عندما قال لها: وأنت سينفذ سيفٌ في نفسك لتنكشف الأفكَار عن قلوب كثيرة مُشيراً بذلك إلى الحزن العميق الذي سينتابها عند رؤية وَلدها على الصليب.

أمام مريم العذراء يقف سمعان الشيخ الذي أتى إلى الهيكل بإلهام من الروح القدس ، وكان قد أوحى له بأنّه لن يرى الموت قبل أن يُعاين مسيح الربّ.

لا يرتدي سمعان الثياب الكهنوتيّة بل يبدو خادماً يقوم بتكريس الطفل المخلّص. ذراعاه تجلّلهما قطعة من القماش وتختفيان تحتها دلالة على احترامه الفائق للطفل يسوع الذي يحمله ، وكأنّه يقدّمه ذبيحةً على مائدة الهيكل. تُشير سمات وجهه إلى أنّه في حال من ذهول عميق ، فيما يكاد لا يصدّق بأنّه يحمل خَلاص شعبه. وكأنّ شفتيه تتمتمان بما نقله لنا لوقا الإنجيلي:

والآن تُطلق عبدك أيها السيّد حسب قولك بسلام ، فإنّ عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته أمام كلّ الشعوب نوراً لإستعلان الأمم ومجداً لشعبك إسرائيل.

النبيّة حنّة التي هي من سبط أشير تحمل بيدها ملَفّاً كُتبَ عليه ما تفسيره: هذا الولد ثَبّتَ السَماء وَالأرض ، به كُلُّ شيء كوّن وبدونه لم يُكوّن شيء. لقد تنبأت حنّة عن مَلَكيّة هذا الطفل المتواضع.

أما يوسف فهو ينظُر إلى الطفل متعجباً ، فيما تبدو على وجهه ملامح سكون وتأمّل وكأنّه يتمعّن في السرّ الذي فاجئه وهَبَطَ عليه من فوق ، وَوَقَفَ العقل البشري أمامه حائراً وعاجزاً عن الإستيعاب.

يداه تُغطيهما أطراف الثوب دلالةً على مشاعر الإحترام ، فيما هو يقدّم يمامتين تقدمة الفقراء ، يُفَسّر البعض بأنّ اليمامتين ترمزان إلى العهدين القديم والجديد ، كما ترمزان إلى طبيعتيّ المسيح الإلهيّة والإنسانيّة.

عن يسار مريم وحنّة ويوسف ، ووراء سمعان الشيخ نرى هيكلاً وهو يُشَكّل في الأيقونة إطاراً للحَدَث ، لكنّه لا يشمله كلّه ، لأنّ الحَدَث يتخطّى الزمان والمكان.

في الهيكل يتم لقاء المخلّص مع شعبه ، غير أن المسيح هو الهيكل الجديد والنهائي ، حيثُ يستقرّ الروح القدس. ونحنُ هياكل الروح القدس حيثُ يسكن المسيح في كلٍّ واحد فينا. وإذا كان المذبح يَرمزُ إلى مائدة العشاء السريّ ، وإلى قبر المسيح ، لا بل إلى المسيح ذاته الذبيحة الإلهيّة بالذّات ، فإنّ الرداء الأحمر الملقى على المذبح يدل على آلامه. أما الأعمدة الأربعة فوق المذبح فترمز إلى الأنجيليين الأربعة ، فيما القبّة قبة السماء هي عرش اللّه.

أيقونة الدخول إلى الهيكل تبيّن لنا شخصيّة المسيح ، فهو القدّوس المساوي للآب ؛ فمعطي الشريعة في سيناء، يضع لنا الشريعة الجديدة ، هو خاتمة ذبائح العهد القديم ، لأنّه الكاهن والمذبح والذبيحة في آن.